البلاغة الحجاجية
في كلام أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

د/ آمنة الظريف محمد الأعصر

أستاذ مساعد بكلية الآداب و العلوم الإنسانية جامعة الملك خالد- المملكة العربية السعودية

المستخلص:

هذا بحث يعنى بالوقوف على طرائق الحجاج والإقناع في كلام أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وإيضاح وسائل الإقناع وأنواع الحجج المستخدمة في كلام أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، ويسعى للكشف عن كيفية توظيف آليات الحجاج ووسائل الإقناع للتأثير في المتلقي وإقناعه ؛ والتأكيد على أن الخطاب الإقناعي لا ينفصل عن البلاغة العربية، فارتباطهما راسخ ووثيق.

وقد نهجتُ في هذا البحث: المنهج الوصفي القائم على التحليل والتأمل، مستعينةً بمعطيات الحجاج والإقناع.

وقد احتوى البحث على مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

المقدمة: وتشتمل على: عنوان البحث، ومشكلته، وأهميته، وأسباب اختياره، وأهدافه، ومنهجه، وخطته، والدراسات السابقة.

التمهيد: ويشتمل على: نبذة مختصرة عن أم المؤمنين عائشة ل، ومفهوم الحجاج، ونص كلام أم المؤمنين رضي الله عنها.

المبحث الأول: البلاغة الحجاجية للبناء التركيبي ودوره الإقناعي في كلام أم المؤمنين رضي الله عنها.

المبحث الثاني: البلاغة الحجاجية للتصوير البياني ودوره الإقناعي في كلام أم المؤمنين رضي الله عنها.

المبحث الثالث: البلاغة الحجاجية للفنون البديعية ودورها الإقناعي في كلام أم المؤمنين رضي الله عنها.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت، وإليه أنيب.

الكلمات المفتاحية: البلاغة الحجاجية، في كلام أم المؤمنين، عائشة رضي الله عنها

Research summary:

This is a research concerned with examining the methods of pilgrims and persuasion in the words of the Mother of the Believers Aisha, may God be pleased with her, and clarifying the means of persuasion and the types of arguments used in the words of the Mother of the Believers Aisha, may God be pleased with her. It seeks to reveal how the mechanisms of pilgrims and the means of persuasion are employed to influence and convince the recipient. Emphasizing that persuasive speech is inseparable from Arabic rhetoric, as their connection is firm and close.

In this research, I used the descriptive approach based on analysis and contemplation, using the data of argumentation and persuasion.

The research contained an introduction, a preface, three sections, and a conclusion.

Introduction: It includes: the title of the research, its problem, its importance, the reasons for its selection, its objectives, its methodology, its plan, and previous studies

. Introduction: It includes: a brief overview of the Mother of the Believers, Aisha, the concept of Al-Hajjaj, and the text of the words of the Mother of the Believers, may God be pleased with her.

The first topic: The argumentative rhetoric of the synthetic structure and its persuasive role in the words of the Mother of the Believers, may God be pleased with her.

The second topic: The argumentative rhetoric of graphic representation and its persuasive role in the speech of the Mother of the Believers, may God be pleased with her.

The third topic: The argumentative rhetoric of the creative arts and their persuasive role in the words of the Mother of the Believers, may God be pleased with her.

My success is only in God, in Him I trust, and to Him I turn.

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشدا، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، الرحمة المهداة والنعمة المسداة والسراج المنير، وشفيعنا يوم الدين يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فالإقناع من أبرز الأهداف التي يحاول الدرس البلاغي رصده واستجلاءه، وذلك لما له من أهمية كبرى في التأثير على المتلقي؛ فمدار البلاغة كلها على استدراج الخصم إلى الإذعان والتسليم؛ "لأنه

لا انتفاع بإيراد الألفاظ المليحة الرائقة، ولا المعاني اللطيفة الدقيقة دون أن تكون مستجلبة لبلوغ غرض المخاطب به.( )"

ولقد حظي الحجاج عناية النقاد والمفكرين، ونال اهتمام الدارسين في مختلف العلوم والتوجهات الفلسفية والمنطقية والبلاغية والتداولية.

وقد اكتسب وجاهته من ارتباطه بالخطابة التي تبلورت في نطاقها نظرية الحجاج الأرسطية، فقد دافع أرسطو عن أفكاره لإثبات قيمة هذا الأسلوب لإقناع الجمهور والتأثير فيه.

كما أن العرب اتخذوا من الخطابة وسيلة لإصلاح المجتمعات، وتحفيز الأفراد والجماعات، فحفلوا بها وأولوها عنايتهم ورعايتهم؛ لهذا كانت الخطابة ومازالت فنا نثريا، قوامه الحجاج ومسلكه الإقناع والتأثير في المتلقين.

وانطلاقا من العلاقة الرابطة بين الخطابة والحجاج وقع اختياري على عنوان بحثي كلام

أم المؤمنين: عائشة ل، ليكون مدونة للمقاربة والتحليل الحجاجي.

وبالنظر في مشكلة البحث فإنّها تحاول الإجابة عن بعض التساؤلات التي تعكس إشكالية الدراسة، وأسئلة الماهية نحو:

ما الحجاج؟ وما علاقته بالخطابة؟ وما المنطلقات الحجاجية التي اعتمدتها أم المؤمنين عائشة– رضي الله عنها - لبناء خطبها؟ وما طبيعة الحجج التي انتظمت في كلامها–رضي الله عنها -؟ وما الأساليب البلاغية والوظائف الإقناعية التي تحققت من خلال كلامها.

هذا ويكتسب خطاب أم المؤمنين ل، من كونه كلام أم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها، وهي إحدى زوجاته – ﷺ- وليس هذا فحسب بل إنها أحب زوجاته إلى قلبه، وأفضلهن عنده. يضاف إلى ذلك غزارة المادة الإقناعية في كلام أم المؤمنين عائشة ل، وبلاغة أسلوبها، وتميزها بالإلقاء المؤثر والمقنع معًا.

كذلك اعتمادها على استراتيجية حجاجية في مقارعة أعداء الأمة الإسلامية، ودحض ادعاءاتهم وشبهاتهم، وأفكارهم الضالة بمجموعة من الحجج والأساليب البلاغية واللغوية، في هذا الموضوع:

"البلاغة الحجاجية في كلام أم المؤمنين عائشة ل، في كتاب بلاغات النساء لابن طيفور."

أهمية البحث:

تنطلق أهمية الموضوع من كونه غاية حجاجية تهدف إلى إذعان العقول لما يطرح إليها من آراء، أو أن تزيد في درجة ذلك الإذعان لتقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعث المتلقين على العمل المطلوب إنجازه أو الإمساك عنه.

أسباب اختيار الموضوع:

- بالإضافة إلى ما سبق من أسباب حفزتني على العمل في هذا الموضوع أذكر أسبابًا منها:
- أن الخطابة فن من فنون النثر الأدبي؛ قوامها الحجاج، ومسلكها الإقناع، ومبعث دلالتها الوعظ والإرشاد.
- إبراز جانب من جوانب شخصية السيدة عائشة ل، هذا الجانب هو قوة البيان، والإقناع والوقوف بجوار الحق مهما كلفها ذلك.
- قلة الدراسات الحجاجية التي تعرضت لكلام أم المؤمنين عائشة – رضي الله تعالى عنها.
- خطب السيدة عائشة ل، منهل للبلاغة والفصاحة، ومجال خصب للحجج والإقناع، مما جعل كلامها جدير بالدرس والتحليل.

أهداف البحث:

- الوقوف على طرائق الحجاج والإقناع في كلام أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.
- إيضاح وسائل الإقناع وأنواع الحجج المستخدمة في كلام أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.
- الكشف عن كيفية توظيف آليات الحجاج ووسائل الإقناع للتأثير في المتلقي وإقناعه.
- بيان أن الخطاب الإقناعي لا ينفصل عن البلاغة العربية، وتأكيد ارتباطه بها ارتباطا وثيقا، وأنها آلية من آلياته المهمة.

منهج البحث:

لقد نهجتُ في هذا البحث: المنهج الوصفي القائم على التحليل والتأمل، مستعينةً بمعطيات الحجاج والإقناع.

وتأتي خطة البحث على النحو التالي:

مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

المقدمة: وتشتمل على: عنوان البحث، ومشكلته، وأهميته، وأسباب اختياره، وأهدافه، ومنهجه، وخطته، والدراسات السابقة.

التمهيد: ويشتمل على: نبذة مختصرة عن أم المؤمنين عائشة ل، ومفهوم الحجاج، ونص كلام أم المؤمنين ل.

وقد قسمت البحث إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: البلاغة الحجاجية للبناء التركيبي ودوره الإقناعي في كلام أم المؤمنين ل.

المبحث الثاني: البلاغة الحجاجية للتصوير البياني ودوره الإقناعي في كلام أم المؤمنين ل

المبحث الثالث: البلاغة الحجاجية للفنون البديعية ودورها الإقناعي في كلام أم المؤمنين ل.

الفهارس: وتشمل فهرس المصادر والمراجع وفهرس الموضوعات.

هذا ولم أتناول كلام أم المؤمنين ل، كله بالدرس والتحليل، وإنما اكتفيت بنماذج؛ لأن

كلامها ل، كثير والمادة فيه غزيرة، ويحتاج إلى بحوث ودراسات كثيرة متعددة.

الدراسات السابقة:

لم أجد فيما بحثتُ دراسات سابقة في بلاغة الحجاج في كلام أم المؤمنين عائشة ل، في كتاب بلاغات النساء لابن طيفور قامَ بهَا الباحثون، وفِي أثناءِ بحثِي، وجدتُ بعض الدراسات ومنها:

(1 في بلاغة الخطاب الإقناعي- مدخل نظري وتطبيقي لدراسة- الخطابة العربية-الخطابة في القرن الأول نموذجًا- الدكتور محمد العمري، والدراسة هذه قد جعلت الخطابة في القرن الأول هي النموذج لتطبيق الدراسة.

(2 الإبداع البياني في سمت الكلام الأول (دفاع أم المؤمنين عائشة ل، عن أبيها) أنموذجا، هذه الدراسة للأستاذ الدكتور السعيد عبد المجيد النوتي، وقد اهتم الأستاذ الدكتور في هذه الدراسة بإظهار البلاغة العالية والبيان الرفيع للسيدة عائشة في الدفاع عن أبيها، ولم يتعرض الأستاذ الدكتور من قريب أو بعيد للآليات الحجاجية، أو الوسائل الإقناعية في كلام أم المؤمنين عائشة ل.

(3 من دقائق التعبير النثري في خطبة السيدة عائشة ل يوم الجمل (تحليل ونقد)، هذه الدراسة للأستاذة الدكتورة سحر مصطفى إبراهيم المُعَنَّا، وقد تناولت الأستاذة الدكتورة خطبة السيدة

عائشة ل يوم الجمل بالدراسة البلاغية، والتحليل النقدي فقط، ولم تتعرض لدراسة آليات الحجاج أو خصائص الإقناع في كلام أم المؤمنين ل لا من قريب ولا من بعيد، مثلها مثل الدراسة السابقة، بل لم تتناول إلا جزئية بسيطة في كلام أم المؤمنين – رضي الله عنها.

هذا وقد استقيت بحثي من كتب البلاغة، والحجاج، وكتب اللغة.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت، وإليه أنيب.

وصلى اللهم على سيدنا محمد، وآله، وبارك.

التمهيد

أم المؤمنين عائشة ل، هِيَ أُمّ الْمُؤْمِنِيْنَ عَائِشَة، "الصدِّيقةُ بِنْتُ أَبِيْ بَكْرٍ م حَبِيْبَةُ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ الْفَقِيْهَةُ الرَّبَّانِيَّةُ، كُنْيَتُهَا أُمُّ عَبْدِ اللهِ، كَنَّاهَا بِهِ النَّبِيُّ ﷺ بِابْنِ أُخْتِهَا عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ت.( ) "

"تَزَوَّجَهَا رَسُوْلُ اللهِ ﷺ بمكة قبل الهجرة بسنتين، وقيل ثلاث بَعْدَ مَوْتِ خَدِيْجَةَ، وَقَبْلَ سَوْدَة بِنْتِ زَمْعَةَ وقيل بعدها.( )"

وقد تميزت السيدة عائشة ل، بعدد من المزايا، منها:

- الْأُوْلَى: أَنَّهُ ﷺ لَمْ يتزوج بكرا غيرها.
- الثَّانِية: أَنَّهَا خُيِّرَتْ وَاخْتَارَتِ اللهَ وَرَسُوْلَهُ على الفور.
- الثالثة: نُزُوْلُ آيَةِ التَّيَمُّمِ بِسَبَبِ عِقْدِهَا حِيْنَ حَبَسَ رَسُوْلُ الله الناس، وقال لها أسيد بن حضير: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر.
- الرابعة: نزول براءتها من السماء بما نَسَبَهُ إِلَيْهَا أَهْل الْإِفْك فِي سِتِّ عَشْرَةَ آية متوالية.
- الخامسة: شهد الله لها بأنها مِنَ الطَّيِّبات، وَوَعَدَهَا بِالْمَغْفِرَةِ وَالرِّزْقِ الْكَرِيْمِ.
- السادسة: أنها كَانَتْ أَحَبَّ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَيْهِ قَالَ لَهُ عَمْرو بْنُ الْعَاصِ: " يَا رَسُوْلَ اللهِ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: عَائِشَةُ، قَالَ: وَمِنَ الرِّجَال؟ قَالَ: أَبُوْهَا( )"

وعن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ:"كَمُلَ من الرجال كثير ولم يكمل من النساء

إلا مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وأن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام.( )"

علم السيدة عائشة بالقرآن:

كانت السيدة عائشة تعي القرآن الكريم، وتعلم معانيه وأسراره وموارده، وتلم بكيفية النطق به، حيث كانت تعد فيه من أبرع الناس وأعلمهم، قال عروة بن الزبير ت" ما رأيت أحدًا أعلم بالقرآن من

عائشة ل.( )"

علم السيدة عائشة ل، بالحديث:

كانت السيدة عائشة عالمة بالحديث النبوي ل، وبسنة رسول الله، واعية لأحاديثه الشريفة، وكانت من أكثر الصحابة رواية للحديث النبوي، وقال عروة بن الزبير بن العوام: حواري رسول الله ﷺ (ما رأيت أحدًا أعلم بالحلال والحرام والعلم والشعر والطب من عائشة أم المؤمنين ل.( ) (

تبوأت أم المؤمنين عائشة ل، مكانة علمية رفيعة جعلتها من علماء عصرها، والمرجع العلمي الذي يرجعون إليه، فيما يغمض عليهم من مسائل القرآن والحديث والفقه، فيجدون عندها الجواب الشافي لجميع تساؤلاتهم واستفساراتهم، "روت عائشة ل، ألفين ومئتين وعشرة أحاديث اتفق البخاري ومسلم

بأربعة وخمسين، وانفرد مسلم بتسعة وستين"( )، وعن أبي موسى قال: ما أشكل علينا أصحاب رسول ﷺ حديث قط فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها علما.( )"

وقال عطاء بن رباح: "كانت عائشة أفقه الناس، وأعلم الناس، وأحسن الناس رأيا في العامة.( )"

وقال الزهري: " لو جمع علم عائشة ل، بعلم جميع أزواج النبي الكريم، وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل.( )"

وقد كان لها حظوة بالغة في نشر تعاليم القرآن والسنة حتى قيل: "حُمل عنها ربع الشريعة.( )"

ويقول الأستاذ العقاد- رحمه الله تعالى-: "وغزارة الاطلاع بينة - إلى جانب هذا- من لغة السيدة عائشة ل التي امتزجت بأسلوبها في كل ما نُقل عنها، ولا سيما الخطب والوصف خاصة، فقد كان لها مادة من اللغة لا تتهيأ بغير محصول كبير من أبناء العربية التي تستقي من أعرق مصادرها...، وقد كان لها أسلوب فيما يرتجل يناسب موضوعه... ومع هذه المادة اللغوية التي تنم عن استقصاء مادة العربية من أعرق مصادرها لا نستغرب ما تواترت به الروايات من علم السيدة عائشة ل.( )"

ويقول الدكتور محمد أبو موسى: "وكنتُ أتفرس كلام الأصحاب، ويطول وقوفي عنده، وتفرُّسي له، وكنتُ أجد كلام أُمّنا ل، أقرب كلام من قرأت من أصحاب رسول الله، بكلام رسول الله شبها.( )"

تعريف الحِجاج:

حاججته أحاجه حجاجا ومحاجة حتى حجبته أي: غلبته بالحجج التي أدليت بها وحاجه، محاجة: نازعه الحجة، والحجة: الدليل والبرهان.( )

ورجل محجاج، أي جدل قال تعالى: "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ"( )(البقرة- ٢٥٨(

والحجاج جنس خاص من الخطاب يُبنى على قضية أو فرضية خلافية، يعرض فيها المتكلم دعواه مدعومة بالتبريرات عبر سلسلة من الأقوال المترابطة منطقيًا، قاصدًا إقناع الآخر بصدق دعواه، والتأثير في موقفه، وسلوكه تجاه تلك القضية.( )"

تعريف الحجاج في الاصطلاح عند القدامى:

قد أولى الجاحظ المتوفى (٢٥٥ه) عنايته بالفهم والإفهام كأحد أساليب الإقناع من خلال تعريفه للبيان، إذ عرفه بقوله:" إنه اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب حتى يفضي السامع إلى حقيقته ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي جري إليها القائل أو السامع إنما هو الفهم والإفهام، فبأي بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع[(( )))]"

ويعتبر كتاب (البخلاء) أحد أهم كتب الجاحظ التي قامت على الحجاج ؛ إذ استند على تقديم البراهين والحجج حول موضوع الكتاب الأول ، والمتمثلة بقضية البخل ، إذ وظف الجاحظ هذا الحجاج للسخرية من هذه الظاهرة للوصول إلى إقناع جمهور المتلقين بسوء تفشي هذه الظاهرة لأهل مرو ، ومنها فقد عرف كتابه البخلاء بمسمى احتجاجات البخلاء ؛ نظرا لانتشار توظيفه لهذه الظاهرة ؛ بهدف السخرية والإقناع بعدم قبولها ، وقد حرص على تنويع مصادر احتجاجه بتوظيف الوهم العلمي

تارة والذهول تارة أخرى، إلى جانب الحجاج العقلي في عدة مواضع لإقناع جمهور المتلقين من البخلاء ، والذين يتمتعون بقدر عال من المعرفة( ) "

أما أبو هلال العسكري (المتوفى: ٣٩٥ه) فقد تحدث عنه تحت عنوان: الاستشهاد والاحتجاج قائلا:" كثير في كلام القدماء والمحدثين، وهو أحسن ما يتعاطى من أجناس صنعة الشعر، ومجراه مجرى التذييل لتوليد المعنى، وهو أن تأتي بمعنى ثم تؤكده بمعنى آخر يجري مجرى الاستشهاد على الأول والحجة على صحته( ) "

ويقول الإمام عبد القاهر الجرجاني " فما هذا الذي تجدَّد بالقرآن من عظيم المزيَّة، وباهر الفَضْل، والعجيب من الوصف، حتى أَعجزَ الخلقَ قاطبة، وحتى قهرَ من البلغاء والفصحاء القُوَى والقُدر، وقيَّد الخواطرَ والفِكَر، حتى خَرستِ الشقاشقُ، وعُدِمَ نطقُ الناطق، وحتى لم يَجر لسانٌ، ولم يُبْنْ بيانٌ، ولم يساعِد إمكانٌ، ولم ينقدح لأحد منهم زَندٌ، ولم يمض له حدٌّ، وحتى أسالَ الوادي عليهم عجزاً، وأخذ منافذ القول عليهم أَخْذاً؛ أيلزمنا أن نُجيبَ هذا الخصمَ عن سؤاله، ونردَّه عن ضلاله( )"

وتحدث في موضع آخر عن الاستعارة " بأنها أحد أشكال الحجاج، حيث تعد الاستعارة إحدى وسائل التجسيد والتشبيه والإثبات التي يتم توظيفها بهدف الإقناع والفهم( ) "

عرف أبو الزهراء الحجاج بأنه: إجراء يستهدف من خلاله شخص ما حمل مخاطبه على تبني موقف معين عبر اللجوء إلى حجج تستهدف إبراز هذا الموقف أو صحة أسسه، إذن فهو عملية الهدف منها إقناع الآخر والتأثير عليه.( )

كما عرف بيرلمان الحجاج بأنه: "جملة من الأساليب تضطلع في الخطاب بوظيفة هي: حمل المتلقي على الاقتناع بما تعرضه عليه، أو الزيادة في حجم الاقتناع.( ) "

ويركز برلمان وتتيكاه في تعريفهما للحجاج على تقنيات الحجاج وآلياته، فموضوع الحجاج عندهما هو: "درس تقنيات الحجاج التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في حالة ذلك التسليم.( ) "

أما وظائفه فهي":

أولًا: الإقناع الفكري الخالص.

ثانيًا: الإعداد لقبول أطروحة ما.

ثالثًا: الدفع إلى الفعل.( ) "

ملامح الحجاج عند بيرلمان:

"يتميز الحجاج عند بيرلمان بخمسة ملامح رئيسة:

أ- أن يتوجه إلى مستمع.

ب- أن يعبر عنه بلغة طبيعية.

ج- أن تكون مسلماته لا تعدو كونها احتمالية..

د- ألا يفتقر تقدمه(تناميه) إلى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة.

ه- أن تكون نتائجه غير ملزمة (احتمالية غير حتمية.( )"

سمات النص الحجاجي:

"القصد المعلن: إنَّه البحث عن إحداث أثر ما في المتلقي أي إقناعه بفكرة معينة.

التناغم: فالنص الحجاجي نص مستدل عليه، لذلك يقوم على منطق ما في كل مراحله ويوظف على نحو دقيق التسلسل الذي يحكم ما يحدثه الكلام من تأثيرات.

الاستدلال: وهو سياقه العقلي: أي تطوره المنطقي لذلك فإن النص الحجاجي نص قائم على البرهنة، فيكون بناؤه على نظام معين تترابط فيه العناصر وفق نسق تفاعلي، وتهدف جميعها إلى غاية مشتركة.

البرهنة: إليها ترد الأمثلة والحجج، وكل تقنيات الإقناع مرورا بأبلغ إحصاء وأوضح استدلالا وصولا إلى ألطف فكرة وأنفذها.( )"

كلام أم المؤمنين ل:

نص الخطبة:

بلغَ ( ) أُمّنا ل، أنَّ قَوْماً يَنالُونَ من أَبِيها ، فأرسلتْ إلى أَزْفَلَةٍ ( ) من الناس، فلما حضروا، أسدلتْ ستارَها، وعلَتْ وِسادَها، ثم قالتْ: أبي وما أَبِيَه؟ أبي واللهِ لا تَعْطُوهُ الأيْدِي( )، ذاكَ طَوْدٌ مُنِيفٌ( )، وَظِلٌّ مَدِيدٌ، هَيهَاتَ، كَذَبتْ الظنونُ، أَنْجَحَ واللهِ إذْ أَكْدَيْتُم( )، وَسَبَقَ إذ وَنَيْتُمْ( )، سَبْقَ الجوادِ إذا استولَى على الأَمَد( )، فتى قُريشٍ ناشِئاً، وكَهفُها كَهْلاً، يُرِيشُ مُملِقَها( )، ويرأَبُ شَعْبَها( )، وَيَلُمُّ شَعْثَها، ثمَّ اسْتَشْرَى( ) في دِينِهِ، فما بَرِحَتْ شَكِيمَتُهُ في ذاتِ اللهِ حتى اتَّخَذَ بِفِنائِهِ مَسجِداً، يُحْيِي فيه ما أماتَ المُبْطِلُون، كانَ واللهِ غَزِيرَ الدَّمْعَةِ، وَقِيذَ الجَوانِحِ( )، شَجِيَّ النَّشَجِ، فَأَقْصَفَتْ ( )عليهِ نُسْوانُ أَهْلِ مَكَّةَ وَوِلْدانُهُمْ يَسْخَرُونَ مِنهُ، ويَسْتَهْزِئُون بِهِ، اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ وأَكْبَرَتْ ذلكَ رِجالاتُ قُرَيْشٍ، فَحَنَتْ قِسيَّها، وَفَوَّقَتْ سِهامَها، وَأَمْشَلَتْهُ غَرَضًا( )، فَمَا فَلُّوا لَهُ صَفَاةً، وَلا قَصَفُوا لهُ قَنَاةً، وَمَضَى على سِيْسائِه ( ) حتَى إذا ضَرَبَ الدِّينُ بِجِرَانِهِ( )، وَرَسَتْ أَطْوادُهُ، وَدَخَلَ النَّاسُ فِيهِ أَفْواجاً، وَمِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ أَرْسالاً وأَشْيَاعًا اخْتَارَ اللهُ لنبيِّهِ ما عِندَهُ، فَلَمَّا قَبَضَ اللهُ نبيَّهُ ، اضْطَرَبَ حَبْلُ الدِّيْنِ، وَمَرَجَ عَهْدُهُ، وَمَاجَ أَهْلُهُ، وبُغِيَ الغَوائِلُ( )، ونُصِبَتْ الحَبَائِلُ، وظَنَّتْ رِجَالٌ أَنْ قدْ أَكْثَبَ نَهزُها( )، ولاتَ حِينَ الذِي يَظُنُّونَ، وَأَنَّى والصدِّيق بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، فَقَامَ حَاسِرًا مُشَمِّرًا، فَرَفَعَ حاشِيَتَيْهِ، وَجَمَعَ قُطْرَيْهِ( )، وَلَمَّ شَعْثَهُ بِطِبِّهِ، وَأَقَامَ أَوَدَهُ بِثِقَافِهِ، حَتَّى امْذَقَرَ النِّفَاقُ بِوَطْئِهِ( )، فَلَمَّا انْتَاشَ الدِّينَ فَنَعَشَهُ( )، وَأَرَحَ الحَقَّ عَلَى أَهْلِهِ، وَقَرَّرَ الرُّؤوسَ على كواهِلِها( )، وَحَقَنَ الدِّمَاءَ فِي أُهُبِهَا( )، فلمَّا حَضَرَتْهُ مَنِيَّتُهُ، فَسَدَّ ثُلْمَتَهُ بِنَظِيرِهِ فِي المَعْدِلَةِ، وَشَقِيقِهِ فِي السِّيرَةِ وَالمَرْحَمَةِ، ذَاكَ ابنُ الخَطابِ، للهِ دَرُّ أُمٍّ حَفَلَتْ لَهُ( )، وَدَرَّتْ عَلَيهِ، لقدْ أَوْحَدَتْ بِهِ، فَفَنَخَ الكَفَرَةَ وشَرَدَ الشِّرْكَ شذرَ مَذرَ وبَعَجَ الأرضَ وبَخَعَها فَقَاءت أكُلُها ولفَظَت خبيئها ترأمه ويصدُ عنها وتصَدي له ويأباها ثم وزع فَيْئها فيها وتَرَكها كما صحبها فأروني ماذا ترتأون وأيّ يومي

أبي تنقمون أيَوم إقَامَته إذْ عَدَلَ فِيكم، أو يُومَ ظعنه إذ نَظرَ لَكُم.( )"

وحدثني إسماعيل بن إسحاق الأنصاري، قال: حدثني علي بن أعين عن أبيه، قال: بلغنا أن عائشة لما قُبضَ أبو بكر ودُفن قامَت على قبْره، فقالت: نَضرَ اللهُ يا أبت وجَهكَ، وشَكرَ لك صَالحَ سَعيك، فلقد كنتَ للدنيا مُذلاً بإدبَارك عنها، وللآخَرة مُعزاً بإقْبالك عليها، ولئن كانَ أعظم المصائبِ بعد رسول الله- صلى الله عليه وعلى آله وسلم، رزؤك، وأكبر الأحداث بعده فقدك، فإن كتَابَ الله- أ- ليعدنا بالصبر عنك حُسن العوض منك، وأنَا مُتنْجزةُ من الله موعده فيك بالصبر عليك، ومستعينتهُ بكثرةِ الاستغفارِ لك، فسلامُ الله عليك توديع غير قالية لحياتك، ولا زارية على القضاة فيك( )

وحدثنا هارون بن مسلم بن سعدان، قال: حدثنا العتبي عن أبيه، قال: ذكرت عائشة أبَاها فاستغفرت، ثم قالتْ: إنَّ أبي كانَ غمْراً شاهده غمْراً، غيْبه غمراً، صَمْتُه إلا عَنْ مفروضِ الله عندَ الحقِ، إذا نَزلَ به يتمخج الأمر هويناه ويريع إلى قصيراه، أن استعزز اسجح، وأن تعزز عليه طامن طيار بفناء المعضلة، بطيّ عن مماراة الجليس ( ) قال وحدثني أبو السكين زكريا بن يحيى، قال: حدثني عم

أبي زحر ابن حصن عن جده حميد يحيى، قال: حدثني عم أبي زحر ابن حصن عن جده حميد

بن حارثة بن منهب بن خيبري بن جدعا قال حججتُ في السنة التي قُتل فيها عثمان، فصادفت طلحة والزبير وعائشة بمكة، فلما ساروا إلى البصرة سرت معهم، فلما وقفت عائشة بالبصرة، قالت: إنَّ لي عَلَيْكم حُرمةَ الأمومةِ وحق الموعظة، لا يتهمني إلا من عصَى ربَّه " قال أبو السكين: أرادت يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً"، قُبضَ رسولُ اللهﷺ بين سَحْري ونَحْري، وأنَا إحْدى نِسَائِه في الجَنةِ له ادخَرني ربِّي، وحَصَنني من كل بضْع ( )، وبِي مَيَزَ مُؤمنكم من مُنَافقكم وبي أرخص اللهُ لكُم في صَعِيد( ) الأبْواءِ، "ثم أبي ثَانِي اثنين اللهُ ثالثهما"، وأبي رابع أربعةٍ مِن المُسْلمين، وأول من سُمِي صِدّيقاً، قُبضَ رسولُ اللهﷺ وهو عَنْه راضٍ، وقَدْ طَوقَه وهَفُ الإمَامَة( )، ثم اضطَربَ حَبْلُ الدِّين( )، فأخَذَ أبَي بِطَرفيْه ورَتَقَ( )

لكم أثنَاءه( ) فوَقدَ النفاقَ( )، وأغاض نبع الردة( )، وأطفَأ ما تحش يهود( )، وأنتم يومئذٍ جحظ العيونِ تَنظرونَ العُدوةَ( )، وتسْتمعون الصَّيحَةَ، فرأبَ الثأيَ( )، وأوزم العطلةَ( )، وامتاحَ من المهواة( )، واجتحَى دفينَ الداءِ، ثم انتظمت طَاعتُكم بحَبلهِ، فَأروني مَاذَا تَرتَأون، وأيّ يومَ

أبَي تَنْقمُون أيَوم إقَامَته إذْ عَدَلَ فِيكم، أم يُوم ظعنه إذ نَظرَ لَكُم.( ) "

في حديثها عن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب:

فولى أمركم رجُلاً شديدًا في ذاتِ الله- عز وجلَ- مُذعناً إذا رُكِنَ إليْه، بعيد ما بين اللابتين عركة للأذاة ( )بجنبه، فقبضهُ اللهُ واطئا على هامةِ النِفاق، مُذكِياً نارَ الحربِ للمشركين، يَقظَان الليل في نُصرة الإسلام صَفُوحاً ( )، عن الجَاهلين خشاش المرأة والمخبرة( ) فسلكَ مسلك السابقية تبرأتُ إلى الله من خطب جَمَع شَملَ الفتنة ومَزقَ ما جمَع القرآن( )لما قربت وفاة الصدِّيق أوصى بالخلافة من بعده للفاروق عمر وهو نظيره في العدل وشقيقه في السيرة، فقالت في الفاروق هذا الكلام.

وفي حديثها عن الخليفة عثمان بن عفان ت قالت:

"وأنا مَا أنَا بمعبرة عن مَسيري هذا؛ لم ألتمسْ إثْمًا، ولم أورثْ فتنةً أوطئكموها، وإنَّي أقبلتُ أطلبُ بدمِ الإمام المركوبة منه الفقر الأربع( ) فمَنْ ردنَا عنه بِحقٍ قَبلنَاه ومنْ ردنَا عَنه بباطلٍ قاتلناه فرُبما

ظَهرَ الظالمُ على المَظْلومِ والعاقبة للمتقين، أقولُ قَوْلي هذا صِدقًا وعِدْلًا، وإعْذارًا وإنذارًا؛ وأسالُ اللهُ أن يصلي على محمدٍ، وأنْ يخلفه فيكم خلافة المرسلين( )"

وقال هرون عن العتبي عن أبيه قالَ قالتْ أمُ سلمةَ ل، وفي نسخة كتبت إليها أم سلمة رحمة الله عليها لعائشةَ لمَّا هَمَّتْ بالخروجِ إلى الجَمَلِ يا عائشةُ إنَّك سُدة( ) بين رسولِ الله- ﷺ- وبين أُمَته حِجَابُك مَضْروب( ) على حُرمَته،

وقدْ جَمَعَ القرآنَ ذيْلكَ فلا تَنْدحِيه( )، وسكنَ اللهُ من عُقَيرَاك فلا تُصَحِريها( ) ، الله من وراء هذه الأمة قد علم رسولُ الله ﷺ كانَّك لوْ أرادَ أنْ يَعهدَ فيك عهداً، بلْ قد نَهَاك عن الفرطَةِ في البِلادِ، مَا كُنتُ قائلةً لو أنَّ رسولَ الله ﷺ عارضك بأطْرافِ الفَلوَاتِ ناصة( ) قعودًا مِن مَنْهلٍ إلى مَنهْل أنْ يعين الله مثواك، وعَلى رسولِ الله ﷺ تعرضين، ولو أمرت بدخولِ الفردوسِ لاستحييتُ أنْ ألقَى مُحمداً ﷺ هاتكة حِجابًا جَعَلَه اللهُ عليَّ فاجَعليهِ ستركَ وقاعة البيت قبْرك حتَّى تَلقيه وهُو عَنكِ رَاضٍ( )"

"فَقالتْ عائشةُ ل، يا أمَ سلمةَ ما أقبْلني لمَوْعِظتك واعرفني بنُصْحكِ ليسَ الأمرُ كما تَقُولين مَا أنَا بمعبرة بعد تعود ( )، ولنعمَ المطلعُ مَطلعًا أصْلحتُ فيه بين فئتين متناجزتين( )، وفي نسخة يروي بعد ذلك. فإن أقم ففي غيرِ جرح، وإن أخرُج ففِي إصلاحِ بَين فِئتَيْن من المُسْلِمين مُتَناجزتين واللهُ المستعانُ.( )"

هذه النصوص السابقة لأم المؤمنين ل

"وتتميز أفكار النص بأن كل فكرة تُفضي إلى الأخرى، وهذه العلاقات تعزّز الوحدة الموضوعية لبنية الخطبة، وقد أظهرت الأفكار ثقافة أُمّنا ل، التي وظفتها في النص،

فكانت كالنهر الذي تصبُّ فيه روافد متعددة من ثقافات مختلفة، وفي النهاية لا يظهر إلا ماء النهر الذي امتزجت فيه الروافد لتصنع ثقافة جديدة مميزة هى خلاصة ما جاء في الخطبة.( )"

سبب إلقاء السيدة عائشة ل، خطبتها في دفاعها عن أبيها:

"أما سبب إلقاء الخطبة فقد بلغ أُمّنا ل، أن قوما ينالون من الصدِّيق أبى بكر، بعد وفاته فأسرعت مدافعة عنه، ثم أرسلت إلى جماعة من الناس، وتكلمت فيهم تعذلهم وتقرعهم على ما قالوه، ثم استعرضت تاريخ أبي بكر مبينة جهاده وتحمله الأذى في نصرة الإسلام منذ بدايته في مكة المكرمة حتى ظهر في المدينة المنورة، وامتداد جهاده وشدة تقواه ومنافحته عن الإسلام بعد أن تولى أمر المسلمين، فأسدلت خمارها وألقت الخطبة على مسامعهم.( ) "

أما سبب إلقاء الخطبة في عثمان ت.

"لما وقع قتل عثمان بعد أيام التشريق سنة خمس وثلاثين للهجرة، كان أزواج النبي ﷺ أمهات المؤمنين قد خرجن إلى الحج في هذا العام فرارا من الفتنة، فلما بلغ الناس أن عثمان قد قتل أقمن بمكة، وقد تجمع بمكة خلق كثير وجم غفير من سادات الصحابة، منهم طلحة والزبير حيث استأذنا عليا ا في الاعتمار فأذن لهما فخرجا إلى مكة وتبعهما كثير من الناس، وكذا قدم إلى مكة ابن عمر، ومن اليمن يعلى بن أمية عامل عثمان عليها، وعبدالله بن عامر عامله على البصرة، ولم يزل الناس حينذاك يفدون على مكة، ولما كثروا منها، قامت فيهم أم المؤمنين عائشة ل، فحثتهم على القيام بطلب

دم عثمان، وذكرت ما أفتت به أولئك من قتله في بلد حرام وشهر حرام، ولم يراقبوا حوار رسول الله ﷺ وقد سفكوا الدماء، وأخذوا الأموال،، فاستجاب الناس لها وطاوعوها على ما تراه من الأمر بالمصلحة، وقالوا لها: حيثما سرت سرنا معك، وبعد أن تعددت آراؤهم في تحديد الجهة التي يسيرون إليها، أجمعوا على الذهاب إلى البصرة.( )"

"فخروج السيدة عائشة ل، في موقعة الجمل بين أنصار علي وبين طلحة والزبير، ما كان لحرب، ولكن اشتدت شكاوي الناس إليها من عظيم الفتنة، ورجوا بركتها، وآثرت ذلك على خروجها للحج الذي كانت قد عزمت عليه، مقتدية بقول الله تعالى: سمح لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا ١١٤سجى سجدالنِّسَاء :تحجتحجسحج.( )

المبحث الأول

البلاغة الحجاجية للبناء التركيبي ودوره الإقناعي

في كلام أم المؤمنين ل.

كان للبناء التركيبي الحجاجي في كلام أم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها- الدور المهم، والأثر الأقوى في إقناع المتلقين بكل ما تقوله، واستمالتهم لكل أفكارها، ومعانيها، وليس هذا فحسب بل إنَّ البناء الحجاجي في بعض كلامها قد جعل السامع يسارع إلى فعل ما تريد.

وقد كان للبناء التركيبي الحجاجي في كلام أم المؤمنين ل، وسائله وآلياته الحجاجية التي حقق بها التأثير في المتلقي، واستمالته، وإقناعه، ومن هذه الوسائل وتلك الآليات:

الأفعال الإخبارية:

الأفعال الإخبارية من الأفعال الكلامية، وللأفعال الكلامية صلة قوية بالحجاج، ودور مهم في تحقيق الإقناع، "يرى (فان إيميرن وجرو تندروست): أن الأفعال اللغوية تسهم بدور في الحجاج، إذ يضطلع كل منها بدور محدد فيه بين طرفي الخطاب، وتترتب الأفعال حسب مقدار الاستعمال.( ) "

والأفعال الكلامية أفعال التزامية، والفعل الالتزامي يدعم المحاج في الوصول إلى مقاصده الحجاجية؛ لما له من تأثير، إذن للفعل الكلامي الإخباري دور في الحجاج لا يمكن إغفاله لما يتركه من أثر في السامع، بل قد يدفعه إلى سلوك بعينه.

ويظهر الأثر الحجاجي للأفعال الإخبارية في كلام أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها- سواء كانت الأفعال ماضية أو كانت مضارعة، ومن ذلك التعبير بالأفعال الماضية في قولها:" كذبت-أكدى– سبق– استولى– اتخذ– حنت– فلو– قصفوا– رست– قبض– اضطرب- سد – شرد – ادخر– خصني- ميز- أرخص– سمي– طوقه-رتق – وقد – أغاض – أطفأ- رأب – أوزم- امتاح- احتجى – انتظم- ولى – ركن- سلك – رد- قبلنا."

فالأفعال الماضية السابقة في كلامها كانت كلامية إخبارية تقريرية، تفيد ثبوت الحكم، وتأكيده، وتحققه.

ومن الأفعال المضارعة مثل: "يريش – يرأب- يلم – يحي - يسخرون - يستهزؤون- ترتأون – تنقمون – تستمعون."

هذه بعض الأفعال الإخبارية التي اشتمل عليها كلام أم المؤمنين– رضي الله عنها-، وقد استطاعت أم المؤمنين عائشة ل، أنْ توظف هذه الأفعال الإخبارية لتقنع المتلقين بما فعله الصدِّيق -رضي الله عنه- في حياته من مناقب وفضائل؛ حيث الأفعال الماضية الدالة على انتهاء الأحداث وعبور الزمان والوقائع، والأفعال المضارعة الدالة على الاستمرارية، فمناقب الصدِّيق قد تحققت في الماضي، وستستمر إلى آخر الزمان يفخر بها المسلمون، فمازال له أثره ووقعه على النفوس إلى الآن.

وقد وردت هذه الأفعال بشكل متتالٍ متسلسل يحقق التماسك النصي والتعاضد المعنوي؛ لتشكل حججًا تفضي إلى هدف واحد وهو الإقناع بأن أباها قد أدى ما عليه، ولم يقصر.

فهذه الأفعال قد جاءت لتحقق غايات إقناعية يقتضيها المقام، ويتطلبها الموقف؛ إذ أثرت في نفس المتلقي، فاستمالته، ثم أقنعته.

ومعظم الأفعال في كلام أم المؤمنين ل، قد جاءت بصيغة الماضي؛ لتشعر المتلقي بتحقق الوقوع، وأمّا استعمالها للأفعال المضارعة فقد كان لاستحضارها حال أبيها وهو يقدم الفداء والتضحيات للإسلام والمسلمين، وهذا أدعى للقبول، والتسليم.

وتلك الأفعال قد آزرت السيدة عائشة ل، في الدفاع عن أبيها، والذب عنه، وتذكير المسلمين بما فعله من أجلهم، وما فعله من جاء بعده من الصحابة ن عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، فلم تنفرد الخطبة بذكر فضائل الصدِّيق وحده، وإنّما ذكرت السيدة عائشة ل، كذلك ما لابن الخطاب، وعثمان ن من فضائل.

وقد كان للترتيب الزمني الذي أتت به أم المؤمنين عائشة ل، أثره الحجاجي؛ حيث ذكرت الخلفاء الراشدين وفضائلهم مراعيةً للتسلسل الزمني والأحداث التي حدثت في كل حقبة زمنية لهؤلاء المبشرين بالجنة، وكأنَّها تطلب منهم بشكل غير مباشر أن لا ينكروا يدا امتدت إليهم بالعطاء، فهذه الأفعال قد بُنيت بناءً حجاجيًا محكمًا يحقق الإقناع بما أرادت من إثبات أنَّ أباها وابن الخطاب

وعثمان ن قد أعدهم الله من الصفوة من الرجال الذين أدوا ما عاهدوا الله عليه.

وقد أتت بتلك الأفعال؛ لتخرج الخطبة في " صورة من الشدة والصلابة والأسر لتسترعي انتباه السامعين، وتقرع أسماعهم وبصائرهم بهذه القدرة الباهرة في القول، والبلاغة الظاهرة في الخطابة، ورغبة في مفاجأتهم بما يبهرهم من الإحسان، والعلوم بما يقهرهم من الحجة، ورميهم كما شاءت بصم الجنادل، فتضيف إلى شخصيتها عاملا آخر يضاعف من مكانتها في نفوسهم، ويبسط سلطانها عليهم"( ) فأم المؤمنين جاءت ألفاظها تبرز قوة شخصيتها، فأتت مجلجلة تحمل طابع القوة والشدة والصلابة والجزالة.

أسلوب الشرط:

يعد الشرط من أهم آليات الحجاج؛ لما يحمله من قوة تربط بين الفعل وجزائه المترتب عليه، ولما فيه من جذب لانتباه السامع، فمتى ألقيَ الشرط، تشوق المتلقي، وانتظر النتيجة والجزاء لهذا الشرط، وحينما يأتي الجواب يطمئن المخاطب ويهدأ.

"وتبرز أهمية أسلوب الشرط باعتباره ينم عن قيمة الموضوع، ومدى قدرة المحاج على ربط الأحداث بعضها ببعض، حيث يقدم الأسباب والمسببات والنتائج التي تغدو قواعد ثابتة، وقوانين صارمة إنَّه أسلوب يقتضي من متوسله حكمة بالغة.( )"

كذلك أسلوب الشرط يُضفي على الكلام طابعًا حجاجيًا إقناعيًا من خلال تقديم العلة على تحقق الجواب والجزاء.

ولأسلوب الشرط حضوره القوي في الخطبة؛ بوصفه رابطًا حجاجيًا له أثره في الإقناع والتأثير، وقد جاء أسلوب الشرط في الخطبة بأداتين هما " إذا ولمَّا " لإفادة تحقق النتيجة على العلة التي قدمت في فعل الشرط.

ويلعب الشرط دوره الحجاجي الإقناعي في قول أم المؤمنين- رضي الله عنها-: "سبق الجواد إذا استولى على الأمر."

لقد صاغت أم المؤمنين ل، الحجاج بأسلوب شرطي؛ لما بين الشرط وجزائه من رابط حجاجي قوي " إذا "، وقد ساهم وجود هذا الرابط في الإشعار بتحقق الوقوع، فـ "إذا" تستخدم للشرط الموثوق في وقوعه، وقد وظفت أم المؤمنين ل، أداة الشرط "إذا" لتحقيق مقصد حجاجي إقناعي لا يتم المعنى بدونه، وهو الإقناع بأنَّ الصدِّيق له الأولوية والأهمية وأنَّه سبَّاق إلى المعالي، فـ " إذا" من الروابط التأييدية؛ لارتباطه بالحالة التي يكون عليها المحاج، وهي تأييده لهذه القضية، ومحاولة دعمها بمختلف الحجج والبراهين.( ) "

وقد أسهم هذا الشرط في استمالة الأذهان نحو الإذعان بأنَّ الصدِّيق ممسك بزمام الأمور قائد في المعركة، وإقناع المخاطب بأنَّ أباها سبَّاقٌ، وله الصدارة في المكارم، ففي الوقت الذي يتخاذل فيه الناس يكون دائمًا هو العون والسند لكل ضعيف، فقد أضفتْ على الكلام طابعًا حجاجيًا إقناعيًا من خلال تقديم العلة على النتيجة.

ويتضح الأثر الاستمالي الحجاجي للشرط في قول أم المؤمنين ل: "حتى إذا ضرب الدين بجرانه... اختار الله لنبيه ما عنده"، فقد صاغت الحجاج في أسلوب شرطي لتعبر من خلاله، وتقنع المتلقي بتمكن الدين من النفوس واستقراره كالجبال الراسية، الثابتة، الراسخة.

وفعل الشرط هنا قد جاء مصحوبًا بمؤشر يوجه المحاج إلى جواب الشرط؛ لذا كانت الحجة دامغة، قاطعة للمتلقي، وقد فُصِل بين فعل الشرط وجزائه بقولها: " ورست أطواده ودخل الناس في دين الله أفواجا،" لتؤكد الكلام وتمكنه في نفوس السامعين، ثم تجيء النتيجة الفعلية "، اختار الله لنبيه"، فقد أكسب أسلوب الشرط المعنى قوة حجاجية، أسهمت في إقناع السامعين، ودفعتهم إلى التسليم بما ورد فيها.

وقد زاد الرابط الحجاجي "حتى" الكلامَ طاقةً حجاجيةً، وقوةً إنجازيةً، فـ"حتى من الروابط المتساوقة حجاجيًا، والمدرجة للحجج القوية، والحجج المربوطة بواسطة هذا الرابط ينبغي أن تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة، أي أنَّها تقدم نتيجة واحدة والحجة التي ترد بعد هذا الرابط تكون هي الأقوى؛ لذلك فإنَّ القول المشتمل على الأداة "حتى" لا يقبل إلا الإبطال والتعارض الحجاجي.( ) "

وقد حقق الشرط دوره الإقناعي في قول أم المؤمنين ل:

"فلما قبض الله نبيه اضطرب حبل الدين"، وهنا يبرز الشرط بدوره التأثيري في نفس المخاطب واستمالته لفكرة السيدة عائشة ل، فقد جاءت جملة الشرط لتقنع المتلقي بأنَّه قد حدث في الأمة بعد وفاته ﷺ هرجً ومرجً أدى إلى اختلاف المسلمين، كما أسهم الشرط في جذب الأذهان، وتشويق المتلقي إلى النتيجة، حتى جاء جواب الشرط بالنتيجة، وهي اضطراب أمر المسلمين وتفرق كلمتهم، ومن هنا سلمت الأذهان واقتنعت وأذعنت بما قالته أم المؤمنين ل، فالقضية الحجاجية كانت ممثلة في الشرط والجواب؛ إذ مثَّل الشرط المقدمة، ومثَّل الجواب النتيجة، وبهما قد تحقق الإقناع والتسليم من المتلقي بأنَّ الصدِّيق قد التزم بالمنهج الذي سار عليه رسول الله ﷺ وأنَّه قد حمل أعباء الدعوة، وقضى على الفئة الضالة التي تبغي الفساد والانتكاس بالإسلام والمسلمين، وجمع المسلمين على كلمة واحدة.

ويلاحظ اتحاد فعل الشرط وجوابه في الزمن، فالفعلان: " قبض - اضطرب" ماضيان، واتحد فعل الشرط وجوابه زمنا، يشعر بفورية حصول النتيجة التي يمثلها جواب الشرط، وهي: اضطراب أمر المسلمين وفرقتهم بعد وفاته – ﷺ-، ويؤكد صورة المحاج الحازمة في ذهن السامع، ويبرز قدرته على توظيف إمكاناته اللغوية في تحقيق غرضه.

ويظهر الأثر الإقناعي للشرط كذلك في قول أم المؤمنين: "فلما حضرته منيته سد ثلمته بنظيره في المعدلة"، فأسلوب الشرط قد منح المعنى قوة حجاجية، وطاقة تأثيرية قد أسهمت في إقناع المتلقين، ودفعهم إلى التسليم بأنَّه قد حدث فجوة واسعة بعد وفاة الصدِّيق، ففضلًا عن إثارة الانتباه وجذب الذهن الذي يحدثه الشرط؛ إذ يتطلع المتلقي إلى الجواب بعد سماعه لفعل الشرط، فقد أضفى الشرط طابعًا حجاجيًا إقناعيًا إلى النتيجة التي تؤدي إلى إقناع المخاطبين بأنَّ عمر الفاروق بتسليمه تاج الخلافة قد سار على نهج الصدِّيق، وهما قد سارا على نهج المصطفى– ﷺ- من قبل في إصلاح الخلل الذي وقع فيه المسلمون بعد وفاته – ﷺ.

فالشرط مرهون باحتمالات فعل الشرط، وما يترتب عليه من قيم إقناعية في الجواب، والنتيجة الحجاجية الإقناعية هي ضرورة اجتماع المسلمين واتباعهم النهج الصحيح.

التعريف والتنكير:

معنى التعريف: جعل الاسم معرفة، والمعرفة هي ما دلَّت على معين من أفراد جنسه مثل:(أنت – خالد. والتنكير هو: جعل الاسم نكرة، والنكرة اسم يدلُّ على شيء غير معين، أو على شائع في أفراد جنسه مثل:(رجلٌ – بيتٌ.(

والتعريف والتنكير ظاهرة من الظواهر التي تخضع لمقتضيات السياق، وهذا يعني أنَّ أحدهما ليس أولى من الآخر، فكلٌ في موضعه بحسب ما يقتضيه السياق والمعنى.

ويتم العدول في التعريف والتنكير من خلال تبادل الأدوار بينهما بأنْ يستخدم أحد التعريفات مكان الآخر أو التعريف مكان التنكير أو العكس، وذلك لتحقيق بعد حجاجي وغاية إقناعية سامية.

أولًا: التعريف:

التعريف بالضمير:

للضمائر الأثر الواضح في الربط في الخطاب الحجاجي؛ إذ هي وسيلة إقناعية لها تأثيرها القوي في النفوس، ويعد التعريف بالضمير من آليات الحجاج البلاغية التي لها دور في ترتيب الحجج وتأدية دورها، ولها الفضل في وصل الجمل في الخطاب الحجاجي.

التعريف بضمير التكلم:

استخدام ضمير التكلم يضفي على الكلام صورة المحاج المعتد بنفسه، وهو إجراء حجاجي يحقق مبدأ الحزم والشدة على المخالفين.

وقد لجأت أم المؤمنين ل، للتعريف بضمير التكلم؛ وذلك لأنَّه يظهر فيه صوت المدافعة عن نفسها؛ إذ هي تنتصر لقضيتها التي أرادت الحديث عنها، فضمير التكلم في خطبتها يساعد في تصوير رفضها لقضية التنكّر لأبيها، فالغاية الحجاجية التي تتوخاها أم المؤمنين من استعمالها لهذا الضمير هي الحضور، فبضمير التكلم قد أبرزت إمكاناتها الإقناعية، وجعلت نفسها طرفًا مدافعًا يملأ المكان بواسطة ضمير التكلم.

ويظهر الأثر الاستمالي الإقناعي لضمير التكلم في قول أم المؤمنين ل، : "إنَّ لي عليكم حرمة الأمومة وحرمة الموعظة"، فقد عبّرت بضمير التكلم المتصل؛ لتستحضر صورة الذات في ذهن المتلقي، وفي هذا إشعار باعتدادها بنفسها، فقد أرادت أم المؤمنين -رضي الله عنها- أنْ توضح حقوقها عليهم، وقد استطاعت أنْ تقنع المخاطبين بهذه الحقوق، وتجذب القلوب والعقول، وتهيء النفس لما تقوله عن الإمام المظلوم، وقد حقق لها الاستمالة التعبير بضمير التكلم، وذلك لأنَّ في التعبير به تشويق، وتطلع إلى ما سيأتي، وعندما يأتي المنتظر يتمكن المعنى في النفس فضل تمكن، فيزيد المعنى تأثيرًا وإقناعًا.

وفي التعبير بالأمومة في هذا المقام زيادة في الإقناع؛ لأنَّ الأم لها حقوق كثيرة يجب أداءها، وهذا ما ترجوه منهم أم المؤمنين فالتعبير بجملة تشتمل على ضمير التكلم المتصل عاون في إنتاج قضية حجاجية، مقدمتها فهمت من المنطوق القولي الحجاجي للنص، وهي أنَّ أم المؤمنين ل، أم لكل المؤمنين ولها حرمتها، وحقها في الوعظ، والنتيجة الحجاجية فهمت من المنطوق غير القولي وهي: وجوب طاعة السيدة عائشة على المسلمين وتنفيذ ما تقول، لأنها أم لهم جميعًا، وقد استطاعت

أم المؤمنين ل، إقناع المخاطبين بأنَّ لها حرمة الأمومة عليهم، وتذكيرهم كذلك بمكانتها الدينية وبلاغتها وفصاحتها، فقد أثرت على أفكارهم واستمالت عقولهم.

ويأتي التعبير بضمير التكلم بدوره الحجاجي في قول أم المؤمنين: "فأنا إحدى نسائه في الجنة"، وإقناعية ضمير التكلم تأتي من كون المقام مقام بيان فضل وميزة، وفخر بهذا الفضل وتلك الميزات، واعتزاز بالنفس بسبب تلك الميزات، وأكبر هذه الميزات: أنَّ السيدة عائشة، إحدى نساء الرسول في

الجنة، وإضافة "نساء" إلى رسول الله ﷺ تزيد في الاستمالة والإقناع؛ إذ توحي هذه الإضافة بالتشريف والتعظيم، فالتعبير بضمير التكلم مع الإضافة قد أنتج قضية حجاجية، مقدمتها فهمت من المنطوق القولي الحجاجي، وهي: أن السيدة عائشة هي إحدى نساء رسول الله ﷺ في الجنة، وأمّا نتيجتها الحجاجية فقد استشفت من المنطوق غير القولي، وهي: وجوب احترام السيدة عائشة ل، والإذعان والتصديق لكل ما تقوله والأخذ بكل ما تشير به، وبالقضية التي قدمتها السيدة عائشة قد استمالت المتلقي وأقنعته بما أرادت.

ويتضح الدور الحجاجي الإقناعي للتعبير بضمير التكلم في قول أم المؤمنين: " له ادخرني ربي"، وقولها: "وبي أرخص الله لكم"، وقولها: "وبي ميزني ربي"، وقولها: "وفي أرخص بوعد الله"، وقولها: "وأنا متنجزة بوعد الله."

فالسيدة عائشة ل، قد سلكت طريق الإضمار وخصوصًا ضمير التكلم سواء كان ضميرًا متصلًا أو منفصلًا، حتى تُشعر المتلقي باعتزازها بنفسها؛ إذ هي في مقام الفخر، والمباهاة، ومن خلال هذا الضمير استطاعت أن تقنع المخاطب بما أرادت من أنها ذات شأن ومكانة عالية، ولا يمكن أن يصدر منها الخطأ أبدًا.

وطريق الإضمار قد آزر السيدة عائشة ل، في عرضها لقضية حجاجية، مقدمتها تتمثل في أنَّها هي البكر الوحيدة من بين نسائه– ﷺ-، وبها قد رخص الله التيمم، وأنَّها تثق دائمًا بوعد الله لها، كما أنَّها راضية بوعد الله مستعينة بكثرة الاستغفار، وكل ما سبق فُهِم من المنطوق القولي الحجاجي للخطبة.

والنتيجة الحجاجية المفهومة من المنطوق غير القولي للخطبة هي: أنَّها مميزة، فهي ذات مكانة عالية وشأن عظيم، ويجب أنْ تُصدق في كل ما تقول، ولا يُشَك في قولها ولا نيتها، فالإضمار كان سبيلها للإقناع.

وقد وُفقت أم المؤمنين في توظيف ضمير التكلم توظيفًا حجاجيًا في قولها: " وأنا نصبُ المسألةِ عن مسيرِي هذا؛ لم ألتمسْ إثمًا، ولم أورثْ فتنةً أُوطِئكُموها "، فقد اتخذت السيدة عائشة ل، من ضمير التكلم مطيةً لتدافع عن نفسها، وتعزز مكانتها، وقد ركبت هذه المطية (التعبير بضمير التكلم) لتستميل المتلقي وتقنعه ببراءتها، فقد ذكرت مقدمة حجاجية وهي: أنَّها مستعدة للسؤال عن السبب الذي خرجت من أجله، وأنَّها لم تخرج للحرب والشقاق، وهي مسؤولة عن مسيرتها إلى البصرة، ولم تجر إثمًا، أو تسع إلى المفاسد، ولم تحدث فتنة، فقد خرجت لأجل الإصلاح، والنتيجة الحجاجية التي استشعرت من مضمون الكلام هي: براءة السيدة عائشة- رضي الله عنها- من التهم التي وجهت إليها، ونبل هدفها وشرف مقصدها.

ويبرز الدور الإقناعي لضمير التكلم في قول أم المؤمنين ل: " و مَا أنَا بمعبرة عن مَسيري هذا"، فتعريف المسند إليه بضمير التكلم هنا مع تكراره، وتقديمه، وسبقه بنفي، يمثل وسيلة حجاجية إقناعية قوية؛ حيث أفاد تقرير الحكم الذي أرادته، فتعبير السيدة عائشة ل، بهذا الضمير قد أكد ثقتها الكبيرة في نفسها، وأظهر حسن نيتها، وأوضح نبل هدفها، فبما أنَّها مصممة على هدفها، ولا يمكن أنْ تحيد عن طريقها، أو تترك غايتها، إذن فإنَّ طريقها صحيح، وغايتها شريفة، ونيتها حسنة، تلك هي القضية الحجاجية التي قدمتها من خلال تعبيرها بضمير التكلم لخصمها المعاند، واستمالته، ثم إقناعه.

التعريف بضمير الخطاب:

التعبير بضمير الخطاب له دوره الحجاجي البارز، وأهميته الكبرى في التأثير والإقناع؛ إذ يدل على حضور السامع في ذهن المحاج، وله أثره الواضح في تشكيل النص، وجعل الحجاج أكثر نجاعة، فوجوده يجعل المحاج مواجهًا مباشرة للسامع من خلال ضمير الخطاب، مناشدًا التغيير الذي يسعى إليه.

ومن تعبير السيدة عائشة ل، بضمير الخطاب قولها: "وأنتم جحظ العيون تنظرون العدوى وتسمعون الصيحة "، فقد استخدمت ضمير المخاطب؛ لأنَّ المقام مقام خطاب، وقد أرادت- رضي الله عنها– إيضاح وإبراز ما تواجهه من مخاطبين، وقد خصت فئة معينة بخطابها، وهي الفئة الضالة التي خاضت في أبيها من خلال هذا الضمير الذي يخاطب به الحضور، فللضمير دوره الإقناعي، إذ جعلتهم وكأنَّهم شهود عيان على ما حدث، فالمقدمة الحجاجية التي فهمت من منطوق الكلام أنَّهم قد وقفوا موقف المتفرج وهم جحظ العيون، ينتظرون وثوب الأعداء عليهم، ويسمعون صيحات العدو كذلك دون أن يحركوا ساكنًا، والنتيجة الحجاجية التي فهمت من المنطوق غير القولي هي: تخاذل المسلمين غير المتوقع في الوقت الذي كان أبو بكر يدافع وينافح عنهم بكل ما أوتي من قوة ومال، مما يقنع المتلقي بهوان هؤلاء وبعدهم عن الحق، وتخليهم عن أبيها في وقت الشدة، وقد ساعد في الاستمالة والإقناع التعبير بضمير المخاطب.

ويلاحظ كثرة التعبير بضمير الخطاب في كلام أم المؤمنين ل، وذلك لأنَّ كثرة ضمائر الخطاب في النص تُعطي قوة حجاجية له، فقد استطاعت السيدة عائشة ل، بالتعبير بهذه الضمائر الاستمالة والتأثير ثم الإقناع؛ إذ التعبير بضمير الخطاب يواجه المحاج السامع مباشرة دون واسطة، ودون إزواء له عن دائرة الخطاب؛ ليكون حجاجه أكثر إقناعًا، ومحققا للتغيير الذي يأمل.

التعريف بضمير الغيبة:

ضمير الغائب من الإشاريات الشخصية، والإشاريات الشخصية رابط حجاجي يستعمله المحاج بقصد تقوية صورة الذات في الخطاب، مما ينعكس على السامع، ليلقى الخطاب طريقه إلى القبول، و"الإشاريات الشخصية من الأدوات اللغوية التي يستعملها المرسِل في السِّلم الحجاجي بالمفهوم، بأن يجعل ذاته في أعلى مرتبة، فيُهَمِّش ما عداه لحظة التلفظ.( )"

وتعريف المسند إليه بضمير الغائب لا يقل إقناعًا ولا أثرًا في المتلقي، ومن ذلك قولها "توفي رسول الله وهو عنه راض"، فقد عبّرت السيدة عائشة ل، بضمير الغيبة ليؤازرها في إنتاج مقدمة حجاجية تستوعب من المنطوق القولي للعبارة المستشهد بها، وهي: أنَّ رسول الله تُوفي وهو راض عن الصدِّيق، غير غاضب منه أبدًا.

والنتيجة الحجاجية المستوعبة من المنطوق غير القولي للنص هي: وجوب الدفاع عن أبي بكر، والذب عنه، والوقوف أمام أعداء الدين بكل صرامة وقوة.

فضمير الغيبة هو الذي حدد الموقف الحجاجي الذي أتت به السيدة عائشة ل، في عمليات الإقناع؛ حيث أعطى الكلام قوة حجاجية خدمت الوظيفة الإقناعية، وقد عاون على فهم المعنى المراد تقديم الجار والمجرور "عنه" عن الخبر "راض" للإشعار بمدى حب الرسول للصديق، وللإسراع بالإقناع

بالمطلوب وهو: وقوف المسلمين معها فيما أرادت تنفيذه، فإعلانها بهذا الضمير يحدد الموقف الحجاجي الذي تبنته أم المؤمنين- رضي الله عنها- في عملية الإقناع، وعلى هذا يبرز موقف الاتجاه المعارض بقبول الحجة أو عدم قبولها، فالتأثير على الحضور يملأ المكان بالحجة البينة والدليل الساطع.

ثانيًا: التنكير:

التنكير آلية من آليات الحجاج المهمة، وله دوره التأثيري المهم في حجاج المتلقي وإقناعه بالفكرة؛ لذا اتخذت منه السيدة عائشة ل، وسيلة استمالية، تؤثر في المتلقي بها، وتقنعه بما أرادت من أفكار، ومن ذلك قولها: " فتى قريش ناشئًا وكهفها كهلًا"، والتنكير يشعر بعظمة الصدِّيق وهو (ناشئًا)، وكذلك وهو (كهلًا)؛ فهو عظيم الشأن، رفيع القدر في مراحل حياته جميعها، فقد كان في شبابه كما كان في كهولته ملاذًا وملجأً يُلجأ إليه في الحوادث والملمات، وأنَّ حياته كلها كانت قائمةً على الكفاح، والجهاد، والمناصرة لدين الله، وهذه هي المقدمة الحجاجية التي تضمنها الكلام المنطوق، أما النتيجة الحجاجية فهي: تميز أبي بكر الصدِّيق ت، في صباه وكهولته، وأنَّه كان صاحب فضل على الجميع لا يمكن إنكاره.

وقد تحقق التأثير والإقناع اللذين أرادتهما السيدة عائشة ل، بالتنكير؛ حيث إنَّها بهذا التنكير قد ذكَّرت المتلقين بعظمته وفضله، وقد ساهم التنكير في حمل المتلقي على التسليم والقبول دون معارضة.

وقد وظفت أم المؤمنين التنكير بدوره الحجاجي الإقناعي أيضًا في قولها:" فما فلوا له صفاه، ولا قصفوا له قناة"، فقد نكرت أم المؤمنين الكلمتين: " صفة – قناة " وقد أفاد هذا التنكير العموم، فالمفهوم الحجاجي للعدول يشعر بأنَّ أبا بكرت لم تفل له صفة، ولم تقصف له قناة أبدًا، لا في شبابه ولا كهولته، وما سبق هو المقدمة الحجاجية.

وأمّا النتيجة الحجاجية التي فهمت من منطوق الكلام غير القولي فهي شجاعة أبي بكرت وشدة صلابته وقوة عزيمته وشكيمته، وأنَّ الصدِّيق ثابت على موقفه لا يتزعزع فيه، ولا يتراجع أبدًا. والتعميم الذي استشعر من التنكير هو الذي كان طريقًا لإقناع المتلقي وتسليمه.

وتطالعنا السيدة عائشة ل، بوظيفة إقناعية أخرى للتنكير في قولها: "وظنت رجال أن قد أكثب نهزها"، فقد نكرت "رجال" لتحقير شأن هؤلاء الرجال، فلم تقل:" وظنت الرجال، " فالمقدمة الحجاجية الإقناعية التي فُهمت من منطوق الكلام أنَّ هؤلاء القوم قد تصوروا أنَّ الإسلام قد ضعفت قوته، وتحققت أهدافهم للنيل من الإسلام، والنتيجة الحجاجية هي: أن هؤلاء الرجال من الحقارة والهوان بمكان، فوجودهم مثل عدمهم.

فقد استطاعت أم المؤمنين ل، بأسلوب التنكير أنْ تقنع المتلقين بخيبة آمال هؤلاء الرجال الذين لا قيمة لهم، فلم يؤثر وجودهم.

ويأتي التنكير بدوره الإقناعي في قول أم المؤمنين ل، " وأول من سُمِي صِدّيقاً" فلم تعبر الصدِّيقة بالمعرفة وتقول مثلًا:" (وأول من سمي الصدِّيق)؛ وذلك لأنَّ لها غاية من وراء هذا التنكير، وهي الإقناع بكثرة صدقه وأمانته، فهو أول من صدَّق الرسول– ﷺ-؛ حيث صدَّقه في خبر السماء

والأرض، وقد استطاعت أم المؤمنين ل، أنْ تقنع المخاطبين بأنَّ أباها أول من سُمي الصدِّيق، وأول من آمن به من الرجال، فكيف بكم تنالون منه.

وقد آزر التنكير في تحقيق الغاية الإقناعية في قول أم المؤمنين ل، مجيء الكلمة: "صدّيق" على إحدى صيغ المبالغة (فعيل، فصيغ المبالغة: "من الصيغ التي تمكن المُرسِل من بناء السلم الحجاجي...ويمكن استعمالها [صيغ المبالغة] حجاجيًا باعتبارها أوصافًا تستلزم فعلًا معينًا ذا درجات سلمية؛ إذ ليس المهم في الحجاج التصنيف فحسب، بل المهم دلالة التصنيف.( )"

ويتجلى التنكير بدوره الحجاجي الإقناعي في قول أم المؤمنين: "قُبضُ رسولُ الله- صَلى اللهُ عليه وسلم- وهو عَنْه راضٍ"، ولم تقل: (هو الراضي) ؛ لتعظيم ذلك الرضا، وتفخيمه، فهو قمة الرضا؛ لأنَّه من الرسول– ﷺ- عن صاحبه وحبيبه؛ فأبو بكر– رضي الله عنه– قد قدم الكثير والكثير نصرةً للإسلام والمسلمين، وبذل الغالي والنفيس في سبيل الله، وقد أشعر التعبير باسم الفاعل بمعنى الثبوت، والدوام، وأنّه كان ثابتًا على هذه الصفة، وهذه الصفة راسخة فيه، لم ولن تتغير، و"يعتبر اسم الفاعل من نماذج الوصف التي يدرجها المُرسِل في خطابه بوصفها حجة؛ ليسوغ لنفسه إصدار الحكم الذي يريد، لتتبني عليه النتيجة التي يرومها.( )"

فأم المؤمنين ل، قد استطاعت من خلال التعبير باسم الفاعل منكرًا أن تقنع المتلقي بأن الصدِّيق كان حبيبًا وصاحبًا وفيًا للرسول– ﷺ- وهو راض عنه بالفعل.

ويتضح الدور التأثيري الإقناعي كذلك للتنكير في قول أم المؤمنين ل:" وأطفَأ ما تحش يهود"، فقد نكرت أم المؤمنين قولها: "يهود" وقد كان بإمكانها أن تقول حشت اليهود إلا أنها أتت بها نكرة؛ للإشعار بحقارة هؤلاء اليهود ووضاعتهم وخستهم المطلقة؛ إذ إنهم كانوا يبذلون قصارى جهدهم في إيقاع الحروب بين المسلمين وإشعال نار الفتن بينهم، فلا أحط ولا أحقر من هذا أبدًا، فالمقدمة الحجاجية التي أنتجها التنكير والتي فُهمت من منطوق الكلام هي: أنَّ الصدِّيق قد أنهى ما قام به اليهود الحقراء من الفتن والوقائع، وقضى عليهم تمامًا، فلم تقم لهم قائمة، والنتيجة الحجاجية هي: أنَّ اليهود كانوا وما زالوا ليس لهم عهد ولا ذمة، وبهذا كان للتنكير دوره الاستمالي الذي أقنع المتلقي بوجوب أخذ الحيطة والحذر من اليهود الملاعين.

وقد وظفت أم المؤمنين ل، التنكير ليحقق الاستمالة والإقناع في قولها: "فولي أمركم رجُلاً شديدًا في ذاتِ الله- عز وجلَ- مُذعنًا إذا ركن إليه"، فالتنكير في الكلمات: "رجلًا- شديدًا - مُذعنًا "، فكان يمكنها أن تقول: (فولى أمركم الرجُل الشديد في ذاتِ الله- عز وجلَ- المُذعن إذا ركن إليه)، لكنَّها لجأت إلى التنكير؛ لتعظيم الفاروق عمر- رضي الله عنه-، وبيان ارتفاع قدره، وعلو مكانته، فقد بلغ من العظمة، وعلو المكانة، والشدة في اتخاذ القرارات، وإغاثة الملهوف مبلغا كبيرا، وما سبق من فائدة التنكير هو المقدمة الحجاجية التي فهمت من منطوق الكلام، والنتيجة تتمثل في أنَّ عمرت رجل قوي، ملاذ لكل محتاج، مسعف ومغيث لكل ملهوف، إذن هو بريء من كل ما نسب إليه، ويستحق التقدير، والتنكير كان هو الوسيلة للإقناع بهذا الأمر.

وقد أدركت أم المؤمنين الوظيفة التأثيرية الإقناعية للتنكير حينما استخدمته في قولها: "وأنا نصبُ المسألةِ عن مَسيري هذا؛ لم ألتمسْ إثْمًا، ولم أورثْ فتنةً"، والتنكير هنا للعموم، فقد نكرت أم المؤمنين ل، " إثما -فتنة" للإشعار بأنَّها لم ترتكب إثمًا صغيرًا كان أو كبيرًا، ولم تقصد إشعال الفتنة صغيرةً

كانت أو كبيرةً في أي لحظة، وأنَّها مسؤولة عن مسيرتها، وتلك هي المقدمة الحجاجية التي استشعرت من التنكير.

والنتيجة الحجاجية التي فهمت من المنطوق غير القولي هي: أنَّ خروج السيدة عائشة ل، لم يكن لغرض دنيوي، وإنَّما كان لأجل الثأر من دم الإمام المركوب الفقر الأربعة.

العدول:

العدول أحد المذاهب البلاغية التي استخدمها العرب الأوائل، وهو: أسلوب من القول يخرج فيه المتكلم عما هو مألوف في نظم الكلام إلى غير المألوف لغاية معنوية يقصدها المتكلم، ويحقق سمة جمالية في الكلام، وهو بهذا المفهوم يضفي على الكلام خصائص ومزايا لم تكن لو جرى الكلام على النمط المعتاد.

وتبدو السمة البلاغية في العدول بارزة، وذلك من خلال وجود خطين يبني المتكلم من خلالهما خطابه، غير أنَّه يقفز بأحد هذين الخطين للاستعمال نظرًا لمعادلة مقامية يطرحها الخطاب، ومضامين تعمل على توجيه هذا الاستعمال نحو الأنفع.

والعدول بوصفه خرقًا لمثالية الوضع أو المعيار اللغوي يشتمل على مستويات عدة، فقد يكون في الصوت، كما يكون في اللفظة المفردة، ويكون في التركيب ( )، لكن ينصب اهتمامي هنا على البعد الحجاجي للعدول وتتبعه في كلام أم المؤمنين عائشة ل،

وللعدول صور كثيرة وأنواع متعددة، لكني أتناول في هذا البحث بعض الصور من خلال نماذج من كلام أم المؤمنين؛ لبيان الدواعي البلاغية والجمالية لاعتماده أسلوبًا حجاجيًا إقناعيًا مطردًا من أساليب التعبير.

ومن صور العدول التي سأوضح بعدها الإقناعي ما يأتي:

1) وضع الظاهر موضع الضمير:

وضع الظاهر موضع الضمير من بديع المخالفات التي تسوغها البلاغة الحجاجية للمتكلم

أو المبدع؛ حيث تسمح له بوضع الظاهر مكان الضمير، أو العكس، لعلة بلاغية حجاجية تستميل المتلقي، وتحقق غاية تأثيرية إقناعية مرجوة.

ويتضح الدور الإقناعي لوضع الظاهر موضع الضمير في قول أم المؤمنين ل: " أبي وما أبيه؟"؛ إذ وضعت الاسم الظاهر مكان الضمير فكان من الممكن أنْ تقول: (أبي وما هو؟) ولكنَّها استعاضت عن الضمير بالاسم الظاهر؛ ليتمكن في ذهن السامع ولتقوية المعنى، حتى تستطيع إقناع المتلقي بأهمية أبيها، وقدسيته بالنسبة لها وأنَّها تتلذذ بتكرار كلمة (أبي)، كما أرادت ل، إدخال المهابة والإجلال على قلب المخاطب، فالمقام مقام فخر واعتزاز بالصدِّيق.

تلك هي القضية الحجاجية التي استطاعت السيدة عائشة ل، أنْ تقنع بها المخاطبين بتميز الصدِّيق، وما قدمه للإسلام وأهله بأسلوب استفهامي تعجبي تستنكر به عليهم ما اتهموه به.

2) التعبير عن الماضي بلفظ المستقبل:

التعبير عن الماضي بلفظ المستقبل له الأثر القوي في استمالة المتلقي وإقناعه بما يريد المحاج، فهو آلية معتمدة من آليات الحجاج الإقناعي، ومن ذلك في كلام السيدة عائشة ل، في قولها: " أقول قولي هذا"، فقد عبَّرت بالمضارع، مع أنَّ السياق كان يستوجب أن تعبر بالماضي وتقول: (وقد قلت قولي هذا) لأنها قد انتهت من حديثها عن مآثر أبيها، ومناقبه، من دفاعه عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم -، ووقوفه بجواره، ومحاربته لأهل الكفر والنفاق بالفعل، لكنها عبّرت بالمضارع لاستحضار كل ما قالته أمام المتلقين، وكأنَّها تريد منهم تَذَكّر كل ما قالت، علها بهذه الطريقة تحقق هدفها الإقناعي من استمالة المتلقين لكل أفكارها التي وردت في كلامها والتأثير فيهم جميعًا، فمن الوضوح بمكان الإعذار والإنذار في قولها: " أقولُ قَوْلي هذا صِدقًا وعِدْلًا، وإعْذارًا وإنذارَا"، والنتيجة الحجاجية الإقناعية التي استطاعت إيصالها للمخاطبين أنَّها لم تكف عن الدفاع عن أبيها في جميع الحالات، وأنَّه لا يصح بأي حال من الأحوال النيل منه بأي كلام، هذا ما قد أشعر بهذا كله التعبير عن الماضي بلفظ المستقبل.

(3 وضع المفرد موضع الجمع:

من صور العدول وضع المفرد موضع الجمع، وهو من الوسائل الإقناعية التي ظهرت في كلام السيدة عائشة ل.

ومن ذلك في قولها:" كان والله غزير الدمعة"، فقد وضعت المفرد "الدمعة" موضع الجمع(الدموع)، وكأنَّ الدمعة الواحدة من الصدِّيق تقوم مقام الدموع من غيره، فدمعته غالية عزيزة؛ لأنها كانت تذرف في سبيل الله خشيةً وخوفًا، وخضوعا له- سبحانه وتعالى-، فالمقدمة الحجاجية التي فهمت من منطوق القولي هي: أنَّ الصدِّيق دموعه كثيرة غزيرة وإنْ كانت ترى دمعة واحدة، والنتيجة الحجاجية الإقناعية هي: أنَّ الصدِّيق كان كثير الخشوع والخضوع لله – سبحانه وتعالى، ودمعته تعدل الدموع الكثيرة من غيره، وقد كان وضع المفرد مكان الجمع من العوامل الإقناعية التي ساقتها في هذا النص، وأكدت الكلام بأسلوب القسم.

الموجهات التعبيرية (الأساليب الإنشائية:(

"وهي مجموعة الصيغ والأساليب البلاغية التي ترسم مسارًا إقناعيًا للخطاب، وذلك عبّر سلسلة تفاعلات لغوية ومقامية داخل الموقف التواصلي.( )"

و"للتركيب الإنشائي دور كبير في العملية الحجاجية؛ إذ كثيرًا ما تبنى الحجة في التركيب الإنشائي، وكثيرا ما تعضد التراكيب الإنشائية حججا، فالتركيب الإنشائي يثير المشاعر من خلال طاقة حجاجية مهمة؛ لأنَّ إثارة المشاعر ركيزة كثيرة ما يقوم عليها الخطاب الحجاجي.( )"

ومن الموجهات التعبيرية (الأساليب الإنشائية) التي حققت بعدًا إقناعيًا، في كلام

أم المؤمنين ل: (الأمر– الاستفهام- النداء.(-

يعد كلٌ من الأمر، والاستفهام، والنداء فنًا من فنون الإقناع، فكل قول له فعل إنجازي كما يسميه أوستنillocutionnaire-Acte :، وفعل تأثيري perlocutionnaire إذ يقول: إنَّ "اللُّغة ليست مجرَّد أداة للإخبار والوصف، بل وسيط لبناء الواقع والتَّأثير فيه وتحويله.( )"

وتدلُّ الأفعال الإنجازيَّة على قصد المتكلِّم، إمَّا لفعل وعد ووعيد، وإمَّا إقرار وتهكُّم، وإمَّا منح ومنع، عن طريق إنجاز الأشياء باستخدام تلك الأفعال الَّتي يحاول المتكلِّم إيصالها للمتلقِّي في سياق الخطاب.

وستكون عنايتي في هذا البحث بالأثر الحجاجي الذي يؤديه كل من الأمر، والاستفهام، والنداء في كلام أم المؤمنين عائشة ل، وهو أثر وثيق الصلة بالدلالة في الأمر على الوجوب، والاستفهام على التعجب أو التشويق، وغيرهما، والنداء على لفت الانتباه، وجذب الأذهان، وإذا استعرضنا الأوامر، والاستفهامات، والنداءات في كلام أم المؤمنين- رضي الله عنها- موضوع الدراسة تظهر على النحو الآتي:

أولًا: الأمر:

للأمر دور تأثيري استمالي عظيم لا يمكن إغفاله؛ إذ يحقق الانتباه، وبحضور انتباهة المتلقي يصير الوصول إلى المفهوم غير القولي الذي تنتجه بنية الأمر داخل كلام أم المؤمنين أكثر بروزًا، خاصة أن المفهوم غير القولي صنيعة خالصة للمتلقي، يتوصل إليها من خلال المنطوق مرورًا بدلالة ذلك المنطوق.

ومن الأوامر الإقناعية التي وردت في كلام أم المؤمنين ما يأتي:

الأمر في قولها: "فأروني مَاذَا تَرتَأون، وأيّ يومَي أبَي تَنْقمُون"، فالفعل الكلامي هنا هو فعل الأمر، "أروني" والفعل الإنجازي هو التعجيز، فقد قصدت تعجيزهم فطلبت منهم أن يذكروا ولو عيبًا واحدًا، وما كان فيه من عيب إلا أنَّه أقام العدل فيهم، وحارب المنافقين والمرتدين حتى تفرق النفاق، ورفع بالدين إلى المكانة السامقة، وأعاد دفع الزكاة التي مُنعت بعد وفاة رسول الله- ﷺ- وحقن دماء المسلمين، وقد تآزرت الأفعال الكلامية "ترتأون وتنقمون" مع الأمر لتحقيق الغاية الحجاجية المرجوة، وهي تعجيز تلك الفئة، وإقناع المتلقين بأنَّ الصدِّيق لم يظلم أحدا، ولم يرتكب إثما فيهم، ولم يفعل لهم إلا خيرا، فالأسلوب الإنشائي له دور كبير في الحجاج من حيث إثارة المتلقين، والإثارة هي أهم الركائز التي يقوم عليها الحجاج، وهذا، "التركيب يقوم بدور مهم في العملية الحجاجية، إذ كثيرا ما تُبنى الحجة في تركيب إنشائي وكثيرا ما تعضد التراكيب الإنشائية حججا بما توفره من إثارة، وما تستدعيه من عواطف وأحاسيس، فالتركيب الإنشائي يثير المشاعر ويشحن من ثمة بطاقة حجاجية مهمة؛ لأنَّ إثارة المشاعر ركيزة، كثيرا ما يقوم عليها الخطاب الحجاجي.( )"

ثانيًا: الاستفهام:( )

الاستفهام من الموجهات التعبيرية ذات الأثر الفاعل في العملية الإقناعية؛ إذ إنَّه من الأفعال الكلامية التي تجعل الحجاج أكثر تأثيرًا وإقناعًا؛ لأنَّ: "الفعل الكلامي مركب من ثلاثة أفعال تؤدى في الوقت نفسه الذي ينطق فيه بالفعل الكلامي:

- الفعل اللفظي: وهو النطق بأصوات لغوية ينتظمها تركيب نحوي صحيح تؤدي معنى هو المعنى الأصلي وله مرجع يحيل إليه.
- والفعل الإنجازي: ما يؤديه الفعل اللفظي من وظيفة في الاستعمال كالوعد والتحذير والأمر والنصح. إلخ.

- والفعل التأثيري: الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي في السامع أو المخاطب سواء أكان تأثيرا جسديا أم فكريا أم شعوريا.( )"

وقد وُفقت أم المؤمنين في توظيف الاستفهام توظيفًا حجاجيًا في قولها: " أبي وما أبيه؟ " فالفعل الكلامي في هذه العبارة هو (الاستفهام)، والفعل الإنجازي هو التعجب الإنكاري، فهي تتعجب من حال هؤلاء الذين خاضوا في الصدِّيق، وتنكر عليهم ما قالوا عنه، وما نالوه منه، ومن هو؟ إنَّه الصدِّيق الصحابي الجليل.

كما أنَّ الفعل الكلامي (الاستفهام) قد أفاد فعلًا إنجازيًا آخر، وهو تشويق المتلقي إلى ما سيأتي بعد هذا الكلام من تعداد الصفات التي تحدثت عنها أم المؤمنين، فهو ليس كأي إنسان، إنَّما هو صدّيقٌ صاحبٌ لرسول الله ﷺ أحد المبشرين بالجنة الذي قال عنه رسول الله ﷺ:" لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا، لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنْ أَخِي وَصَاحِبِي، وَقَدِ اتَّخَذَ اللهُ صَاحِبَكُمْ خَلِيلًا.( )"

وقد استطاعت أم المؤمنين ل، بالفعلين الإنجازيين المستشعرين من الاستفهام إقناع المتلقين بأنَّه لا يستطيع أحد أن يشبه الصدِّيق ت فيما قام به من أجل الإسلام والمسلمين، فقد أبلى في الإسلام بلاءً حسنًا، وخلد اسمه وأعماله في نفوس المسلمين.

ويأتي الاستفهام بدوره الاستمالي التأثيري كذلك في قول أم المؤمنين ل، "وَأَنَّى والصدِّيق بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ؟ "، فالفعل الكلامي في هذه العبارة هو (الاستفهام)، والفعل الإنجازي هو الاستبعاد والإنكار، فقد استبعدت السيدة عائشة ل، وأنكرت على من يعتقد أنَّ أحدًا يستطيع أنْ ينال من المسلمين والإسلام، ويضعف شوكته، كما أنّها تتعجب من حالهم، فكيف يكون هذا الأمر وهو بين ظهرانيهم.

فقد كان الاستفهام بأفعاله الإنجازية (الاستبعاد – الإنكار – التعجب) سبيل السيدة عائشة ل، لاستمالة المخاطبين وإقناعهم بأنَّ الصدِّيق قد وقف موقف الشجاع القوي المدافع عن الدين والمسلمين، وقد حارب المرتدين، ووقف متصديًا لأعداء الدين.

ويتجلى الاستفهام بدوره الإقناعي في موضع آخر من كلامها ل، وذلك في قولها: " فَأَروني مَاذَا تَرتَأون وأيّ يومَي أبَي تَنْقمُون أيَوم إقَامَته إذْ عَدَلَ فِيكم أو يُوَم ظعنه إذ نَظرَ لَكُم؟ "، فالأفعال الكلامية في العبارات كلها تتمثل في الاستفهام، والأفعال الإنجازية هي التعجب المشوب بالإنكار من حالهم، وكأنَّ أم المؤمنين تتساءل متعجبةً، منكرةً، قائلةً: ما الذي تنكرونه في أبي؟ العدل الذي أقامه فيكم؟، أم الفتوحات والنصر الذي حققه لكم؟

وكذلك تفيد الاستفهامات في الجمل السابقة تشويق المخاطب إلى ما سيأتي بعدها من كلام؛ لذا حققت هذه الاستفهامات الغاية الإقناعية المرجوة، وجعلت المتلقي يسلم بأنهم مدَّعون كاذبون.

وقد جاء الاستفهام المنجز في كلام أم المؤمنين ل، معدولًا به عن طلب الفهم إلى أفعالٍ إنجازية كالتعجب، والاستبعاد، والإنكار، والتشويق، وغيرها من المعاني المجازية، وقد جعل هذا المتلقي مشاركًا في إنتاج الحجج، فقد قام الاستفهام بدور مهم في كلام أم المؤمنين ل، في الإقناع والإمتاع والحجاج؛ حيث جذب المتلقي إلى الدليل والبرهان، وإقامة الحجة، وأقنع المتلقي بأنّه لا ينبغي أن يُنكروا أي شيء فعله الصدِّيق من أجل أمة الإسلام، فمن خلال الاستفهام أقامت الحجة التي وجهت

العقول الوجهة التي أرادتها، وكان له الدور الأكبر في الإقناع والحجاج، لأنَّه يعمل على جلب المتلقي وإثارة انتباهه.

ثالثًا: النداء:( )

النداء من الموجهات التعبيرية المؤثرة وهو: "من بين الأدوات المهمة في العملية الحجاجية نظرًا لما يحمله من جلب المرسل إليه أو المتلقي في عملية الاستدلال والتأثير فيه.( )"

فالمنطلق الحجاجي للنداء يبني إثارة نفسية لدى المخاطب، فيرتسم هذا المخاطب أمام المتكلم مصغيًا، مستمالًا، منجذبًا إلى الخطاب، كما يسهم في تكوين اتجاه انفعالي حيال الخطاب، وغالبًا ما يكون موقفًا إيجابيًا، يتحقق فيه التأثير والإقناع.

و" تتمثل وظيفة النداء الدلالية المنوطة به في التنبيه، وطلب الإقبال، والإصغاء وإعداد النفس لتلقي الخطاب، إذ تتضافر معه عادة أساليب أخرى تمنحه أهمية سياقية وتضيف إليه دلالات متعددة ومتنوعة، تقوي من تأثيره نحو المخاطب؛ إذ يتخلق النداء بالسياق الذي غرس فيه، ويبرز مقاصده)").

إذن فالنداء يعد توجيها حجاجيا، لأنَّه يحفز المرسل إليه لردة فعل تجاه المرسل، لا سيما إذا كان بالياء؛ لذا اعتمدته السيدة عائشة ل، آلية استمالية ذات تأثير إقناعي، ومن ذلك: النداء في قولها: " نضرَ اللهُ يا أبت وجَهكَ وشَكرَ لك صَالحَ سَعيك"، وتتمثل حجاجية النداء هنا في كونه لفت الانتباه وشد الأذهان إلى ما سيأتي بعده من كلام، فأم المؤمنين عائشة ل، قد استطاعت من خلال هذا النداء أنْ تقنع المخاطب ببعد منزلة أبيها، وارتفاع قدره، وفضله على المسلمين من خلال ندائه بـ" يا "، فالنداء بالياء يشعر بارتفاع الشأن وعلو المكانة، وهذا كان هو الهدف الأكبر والغاية الأسمى لأم المؤمنين، كما أرادت الدعاء لأبيها كذلك بنضارة الوجه وشكر السعي، فجاء أسلوب النداء بين جملتين خبريتين لفظًا إنشائيتين معنى: "نضر الله وجهك...وشكر الله صالح سعيك"، فالغرض منهما الدعاء.

وذكرها لفظ الأبوة في هذا المقام يزيد من إقناع المتلقي بحبها لأبيها، وتقديرها الشديد له، وكأنه حي يرزق لم يمت، فهو بين ظهرانيهم بسيرته العطرة الطيبة.

ويتضح الدور الاستمالي التأثيري للنداء في قول أم المؤمنين عائشة ل، لأم سلمة: " يا أمَ سلمةَ ما أقبْلني لمَوْعِظتك واعرفني بنُصْحكِ"، فقد اتخذت من النداء وسيلة استمالية لتقنع أم المؤمنين: أم سلمة بارتفاع مكانتها في نفسها، واحترامها، وأنَّها تقدر نصحها، وتعلم ما في قلبها من حب مصلحتها، لكنَّها مضطرة للخروج للمطالبة بدم الإمام المظلوم: عثمان ت، والذي حقق الاستمالة والتأثير، ثم الإقناع هو النداء بـ" يا " لما يشعر به هذا الحرف من بعد المنزلة، وارتفاع الشأن، " كما أنَّ في النداء تنبيه وتبليغ يهدف إلى إقناع المتلقي وتوجيهه بطريقة صحيحة.( ) "

القصر:( )

"القصر هو: عمل إنجازي يعتمده المتكلم في توجيه المخاطب وجعله يسير في الاتجاه الذي يحدده هو ويرسمه، فالقصر من الأدوات الحجاجية المهمة التي تدعو إلى إعمال العقل وتحفز الاستنتاج لدى المتلقي، بحكم بلاغته من الإيجاز والاختصار التي لا تتحقق إلا به وزيادة المعنى تأكيدًا"( ). فالغاية من القصر تمكين الكلام وتقريره وتوكيده.

ويتضح دور القصر الحجاجي الإقناعي في قول أم المؤمنين:" لا يتهمني إلا من عصَى ربَّه"، فقد قصرت من يتهمونها على عصيان الله- عز وجل-، وقد أشعر القصر بأنَّ كل من يتهمها فهو ضمن هؤلاء العصاة، فهم ليسوا إلا عصاة، وهذا النفي طريقه النفي والاستثناء، وهذا الطريق يستخدم لأمر ينكره المخاطب أو يشك فيه، فالمقدمة الحجاجية التي أفادها المنطوق الحجاجي لجملة القصر هي أنَّه من قام باتهام أم المؤمنين عائشة ل، فهو عاصٍ لربه مرتكب لإثم كبير، والنتيجة الحجاجية المفهومة من المنطوق غير القولي للجملة هي: أن الذي يبتعد عن اتهامها بشيء ليس فيها هو الطائع لربه، وسيكون راضيًا عنه ربه، ولم لا وهي الحبيبة بنت الحبيب.

وقد استطاعت أم المؤمنين عائشة ل، بهذا الأسلوب تخويف الذين يتهمونها بما يشينها من غضب الله؛ لما لهذا الأسلوب من التأثير القوي في المتلقين واستدراجهم وإقناعهم لتغيير موقفهم.

ويبرز الأثر الإقناعي الحجاجي للقصر في قول أم المؤمنين: "له ادخرني ربي"؛ حيث قصرت ادخارها وحفظها عليه ﷺ واختصاصه بها دون غيره، وقد تحقق القصر عن طريق التقديم، وقد أنتج هذا القصر قضية حجاجية مقدمتها فُهمت من المنطوق القولي للنص وهي: أنها مدّخَرة لرسول الله ﷺ ومختصة به دون غيره، والنتيجة الحجاجية التي فُهمت من المنطوق غير القولي هي: تميز السيدة

عائشة ل، وتفردها؛ إذ إنَّ الله– سبحانه وتعالى- قد ميزها بأنْ تكون زوجة له- عليه السلام- وأنَّها لم تكن مباحة لأحد من بعده.

وبالقصر وما أنتجه من قضية حجاجية قد تمكنت السيدة عائشة ل، من إقناع المتلقين بعلو منزلتها وارتفاع شأنها، وتميزها بشيء تنفرد به عن غيره من زوجاته، وتسليم المخاطبين بما تشير وتقترح.

ولإدراك أم المؤمنين قيمة القصر جيدًا في إيصال الفكرة وتثبيتها، في الأذهان وإقناع المتلقي بها، استخدمته مرة أخرى في قولها ل: "وبي ميز مؤمنكم من منفاقكم"، إذ قصرت أم المؤمنين تمييز المؤمنين من المنافقين عليها وبها قصرًا حقيقيًا ادعائيًا، وهذا القصر جاء عن طريق التقديم، حيث

رأت ل في هذا الطريق المزيد من التخصيص والحصر، فتمييز المنافق من المؤمن قاصر ومحصور عليها لا يتعداها إلى غيرها، وقد أظهر هذا القصر مزية أخرى من الميزات الكثيرة التي كانت تتمتع بها أم المؤمنين ل وهي أنَّها كانت سببًا في معرفة المؤمن من المنافق، وهي تشير إلى حادثة الإفك بهذا الكلام، "وهذا التعبير يوحي بصحتها النفسية وإجابيتها؛ إذ حولت المحنة والشدة التي تعرضت لها في حادثة الإفك إلى منحة ميزت بها المؤمن من المنافق.( )"

فالمقدمة الحجاجية التي فُهمت من جملة القصر هي: أنَّها ل، كانت سببًا في معرفة المؤمن من المنافق، والنتيجة الحجاجية التي استشفت من المنطوق غير القولي للجملة هي: تميزها وتفردها واختصاصها بشيء وضح براءتها، فقد وظفت أم المؤمنين عائشة ل، القصر للتأثير في المتلقي واستدراجه لتغيير موقفه منها من خلال هذا الأسلوب، وقد أكسب القصر الكلام بعدًا حجاجيًا في توجيه المخاطبين وإقناعهم بأفكارها.

ويتجلى الدور الإقناعي الحجاجي للقصر في قول أم المؤمنين: "وبي أرخص الله لكم في صعيد الأبواء"، حيث قصرت سبب ترخيص الله في التيمم للمسلمين عليها، وقد اتخذت من التقديم طريقا للقصر، وهذا القصر يوحي بأنَّ الترخيص هذا لم يكن إلا بسببها ومن أجلها، فالمقدمة الحجاجية التي

فُهمت من منطوق الكلام هي أن الحق- سبحانه وتعالى- قد أرخص بسببها التيمم دون غيرها، والنتيجة الحجاجية التي أرادت إيصالها للمتلقين هي انفرادها بأشياء فيها من العزة والشرف، وأنَّ على كل إنسان أنْ يسير على نهج الإسلام ولا يتخلف عنه، فقد نزلت بسببها آيات التيمم من فوق سبع سماوات، وبالمقدمة والنتيجة قد أقنعت المتلقي بقيمتها وارتفاع شأنها عند ربها، وبالتالي فهي بريئة من كل ادعاءاتهم الباطلة، والقصر هو الذي عاونها في تحصيل ذلك الإقناع، فالقصر يقتضي وجود سياق تواصلي بين المتكلم والسامع للتأثير في المخاطبين وإقناعهم.

الفصل والوصل:

الفصل والوصل من أهم المباحث البلاغية التي اهتم بها البلاغيون العرب؛ ويرجع ذلك إلى كونه يمثل انعكاسًا للمظاهر الخطابية التي يظهر من خلالها مدى تماسك الخطاب وترابط أجزائه بعضها ببعض ( ).

ويقوم الفصل والوصل بدور كبير في استمالة المخاطب، وإقناعه والتأثير فيه؛ لما فيه من طاقات حجاجية ذات غايات إقناعية.

أولًا: الوصل:

الوصل هو: العطف، "ومما يحققه العطف بين الجمل التشريك في الحكم، ومسألة التشريك في الحكم مسألة دقيقة لا تتصل بالصورة المنطقية للعبارة في كل حال بقدر ما تتصل بإيحائها الفني والجمالي) " ( ).

وللوصل في كلام أم المؤمنين ل، أثر حجاجي إقناعي لا يمكن تجاهله، أو تغافله.

ومن ذلك قول أم المؤمنين عائشة ل، "يريش مملقها، ويرأب شملها، ويلم شعثها"، ويتضح الأثر الإقناعي للوصل في قولها هذا؛ حيث عطفت الجمل السابقة بعضها على بعض، وذلك لما بينها من التوسط بين الكمالين؛ لاتفاقها في الخبرية لفظا ومعنى، وإقناعية الوصل بين الجمل تأتي من أنه قد أتى بمقتضاها الجمع بين عدة أفعال إنجازية، وهي أنَّه قد جعل الفقير مستورًا بعطائه، وجمع شملهم، وجمع ما تفرق بين الأمة، مما جعل المتلقي أكثر تركيزًا مع الحدث، وقد حقق الوصل إقناع المتلقين بفضل أبيها على الأمة، والواو من أقوى الروابط الحجاجية التي أسهمت في ربط نتيجة الإقناع والحجاج، والواو العاطفة لها دورها في التأثير في المخاطب وإقناعه عن طريق تدرج الحجج حتى يصل الخطاب إلى النتيجة المقنعة، وقد أفادت الواو بوصفها رابطًا حجاجيًا في تراتبية الحجج في الخطبة فجاءت كل واحدة منها متسقة مع ما قبلها، وكل واحدة من هذه الحجج جاءت متسلسلة أفادت النتيجة المرجوة، وهي أن الصدِّيق: قد أعطى الفقير، ورأب الشمل، وجمع كلمة المسلمين على كلمة سواء.

ومن ذلك أيضًا قول أم المؤمنين:" فَحَنَتْ قسيها وفوقت سِهامَها، وَأَمْشَلَتْهُ غَرَضًا"، وكان الوصل لأجل التوسط بين الكمالين؛ لاتفاق الجمل في الخبرية لفظًا ومعنى، فقد حقق الوصل الجمع بين الأفعال الكلامية بأفعالها الإنجازية التي تهدف إلى بيان براءة أبيها من جميع ما نسب إليه من التهم والافتراءات التي رمي بها، وقد كان، وقد تأثر المتلقي عن طريق هذا الوصل واقتنع بما أرادت السيدة عائشة لإقناعه به.

وتوظف أم المؤمنين ل، الوصل توظيفًا حجاجيًا في قولها:

"اضطرب حبل الدين، ومرج عهده، وماج أهله، وبغي العوائل ونصبت الحبائل"، فقد وصلت بين هذه الجمل بالأفعال الكلامية لاتفاقها في الخبرية لفظا ومعنى، وإقناعية الوصل وحجاجيته تأتي من أنّه قد تم بالجمع بين هذه الأفعال بيان جميل أبيها وفضله على الإسلام والمسلمين، وهو أنّه قد التئم المسلمون على يدي أبيها، وتماسكوا، كما التأمت رقعة الإسلام بعد الفساد والاختلاف والفرقة، وقد جعل العطف بين الجمل المتلقي أكثر تركيزًا مع الحدث وتسليمًا بما أرادت، وكذلك أثرت في المخاطب وأقنعته بأن من فعلوا ذلك هم الذين دخلوا الإسلام رياءً ونفاقًا، وأظهرت الموقف الخطير الذي تعرض له الإسلام والمسلمين.

ويتضح الأثر الإقناعي للوصل بين الجمل كذلك في قولها:" فوقد النفاق وأغاض نبع الردة وأطفأ ما يحش يهود"، وقد وصل بين هذه الجمل بالواو لما بينها من التوسط بين الكمالين؛ لاتفاقها في الخبرية لفظًا ومعنى، وتشترك الجمل كذلك في أن كلًا منها قد صوّر عملا عظيما من أعمال أبي بكر في خلافته لرسول الله ، فالفاعل لكل هذه الأشياء واحد، والمناسبة بين هذه الجمل قوية والرابط بينها شديد.

وقد ساهم الوصل في التأثير على المتلقي وأقنعه بأفضال أبيها على الأمة، والذي أقنع المتلقي بفضل الصدِّيق ت هو التناسب الشديد بين معاني الجمل، " فإنَّ من شأن التناسب أن يزيد الوصل حسنًا ويضفي عليه جمالًا وبهاءً.( )"

"وهذه المناسبة بين الجمل ضرورية لصحة نسق الكلام وتلاوته، وكلما كان الامتزاج بين الجملتين أشد تلاؤمًا، كانت الواو أكثر تمكنًا وأحكم إصابة.( )"

ثانيًا: الفصل:

يلعب الفصل دوره الحجاجي في التأثير على المتلقي وإقناعه بما أرادت أم المؤمنين، وقد حقق الفصل فعله التأثيري الإقناعي في قول أم المؤمنين: "وأنتم جحظ العيون، تنظرون العدوى وتسمعون الصيحة"، حيث فصلت جملة "تنظرون العدوى" عن قولها:" وأنتم يومئذ جحظ العيون"، لأنَّ الجملة الأولى أثارت سؤالًا تقديره: (لماذا كانوا جحظ العيون؟) فكان الجواب: (تنظرون العدوى وتسمعون الصيحة)، والفصل هنا لشبه كمال الاتصال، وقد حقق الفصل الإقناع في نفوس المتلقين بأنَّ هؤلاء قد وقفوا ينتظرون وثوب الأعداء عليهم، وهم يسمعون صيحات العدو دون أن يحركوا ساكنا، كما أنَّ الفصل قد أثر في المخاطب، وجعله يسلم بضرورة الانتباه، وأخذ الحيطة والحذر من الفئة التي تريد التفرقة بين المسلمين.

وقد أبرز شبه كمال الاتصال ببلاغته العالية، والإيجاز الذي حققه: قدرة السيدة عائشة ل، على الإقناع والتأثير، (وبلاغةُ هذَا الضربِ تكمنُ فِي أنَّ الجملةَ الأولَى تثيرُ فِي النفسِ خواطرَ، وهواتفَ فتأتِي الثانيةُ مجيبةً عنْ هذهِ الخوالجِ، وكأنَّ بذرةَ الجملةِ الثانيةِ مضمرةٌ فِي الجملةِ الأولَى، وهكذَا يتوالدُ الكلامُ وتتناسلُ الجملُ، ثُم إنَّ فِي طيِّ هذهِ الهواتفِ وتركِ الإفصاحِ عنَها والتعبيرُ الجهيرُ بهَا، ضربٌ منْ وجازةِ الكلامِ واختصارِه ودمجهِ واكتنازِه، ولوْ ذهبتَ تبسطُ مَا حقَّه البسطُ لرأيتَ وراءَ كلِّ جملةٍ منْ هاتيكِ الضروبِ جملةً قدْ تطولُ أوْ تقصرُ، ولكنَّها أُضْمِرتْ فِي تلكَ الجملةِ واكتُفَيَ فِي الإبانةِ عنهَا باللمحةِ والإيماضةِ السريعةِ التي انعكستْ فِي تحريكِ السامعِ واستثارةِ حسهِ( ).(

الحذف:

كان الحذف سمة بارزة من السمات الأسلوبية التي ترددت في كلام أم المؤمنين، وكان من الوسائل الإقناعية ذات التأثير القوي في المتلقي، وقد حقق فاعلية إقناعية ما كانت لتتحقق للكلام بدونه.

الحذف ظاهرة لغوية يمكن بحثها في شتى الحقول: كالنحو، والبلاغة، والعلوم الإنسانية، "ويمثل الحذف استبعادًا لعبارة أو جملة من العبارات على مستوى البنية السطحية للخطاب مع بقاء محتواها المفهوم قائمًا في ذهن المتلقي الذي يستحضر العبارات الناقصة فيوسع بـها أو يعدل دلالة الخطاب.

وتنتج عن الحذف علاقة داخلية في النص بين الفراغ الذي يتركه العنصر المحذوف ومقابله الموجود في موضع سابق من النص؛ مما يعني أن الحذف يقوم على علاقة قبلية.

وتتم عملية الاتساق عبر الحذف على أساس علاقته بالتكرار والإحالة من حيث إنَّ الحذف نوع من التكرار، فالتكرار قد يكون باللفظ والمعنى أو باللفظ دون المعنى أو بالمعنى فحسب، وفي الحالة الأخيرة يرى بدلًا عن تكرار اللفظ فجوة في النص، لا يمكن ملؤها إلّا بالإحالة إلى عنصر ملفوظ داخل النص، فالقرينة في السياق اللغوي وسياق الموقف تدل على إحالة محذوف إلى ملفوظ، ويقوم ذهن المتلقي بتقدير الفجوة التي أحدثها الحذف داخل النص مستعينًا بالعناصر السابقة عليها، فلا تكتفي بذاتها من حيث التأويل إلّا إذا عاد المتلقي إلى ما سبقها من الجمل والعبارات، فالاتساق النصي ينطلق هنا من جملة محتوية على عنصر محذوف يحيل إلى آخر سابق، فالحذف بطبيعته إحالة سابقة تؤدي إلى الترابط.

ويعكس الحذف ميلًا نفسيًا لدى المتكلمين إلى الإيجاز والاقتصاد في المجهود الكلامي والعضلي بإنتاج جمل بسيطة وتراكيب موجزة.( )"

و"الحذف التام يؤدي إلى الاختزال، ويتمثل في أن تظل المعلومات قائمة مع نقص العبارة، فقد يحذف الفاعل وهو مفهوم، أو يحذف الفعل، أو تختزل الجملة كلها ولا يبقى دليلًا عليها سوى إشارة دالة يسيرة، إلى غير ذلك من أشكال الحذف المعروفة في النحو والبلاغة.( )"

ويقول الإمام عبد القاهر عن الحذف هو:" باب لطيف المأخذ، عجيب الأمر شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن، ورُبَّ حذف هو قلادة الجيد، وقاعدة التجويد.( )"

وقد تجلت حجاجية الحذف وأثره الاستمالي، وتحقيق بُعده الإقناعي في كلام أم المؤمنين من خلال حذف المسند إليه؛ إذ إنَّ حذف المسند إليه آلية من آليات الحجاج المهمة التي استخدمتها السيدة

عائشة ل، في استمالة المتلقي والتأثير فيه، ومن ذلك:

ومن ذلك: قولها: "وسمي صدِّيقا"، فقد حذف المسند إليه هنا؛ للعلم بالفاعل، فالفاعل الحقيقي هو رسول الله ﷺ وهو الذي سماه بالصدِّيق، فقد أرادت أن تقنع المتلقي بعظمة أبيها، وارتفاع شأنه، وعلو مكانته، فالمقدمة التي فُهمت من المنطوق القولي للعبارة هي: أنَّ الذي سَمى أباها بالصدِّيق هو الحبيب المصطفى، والنتيجة الحجاجية التي فُهمت من المنطوق غير القولي هي: براءة أبيها مما نُسب إليه من المغرضين، فالتعبير بالفعل المبني للمجهول كان وسيلتها الإقناعية في هذا المقام.

واستخدامها للفعل المبني للمجهول يدل على براعتها، ومقدرتها الأصيلة على تأدية الألفاظ في وضعها اللائق بها: "فالبناء للمجهول يسلط الضوء، ويلفت الانتباه إلى حقيقة الحدث وطبيعته، ومدى علاقته وتعلقه بالمفعول الأصلي، فيحقق الغرض الأصلي من إبراز عناصر المشهد، ويتيح لها المجال الأكبر لتأدية دورها في قوة ووضوح، دون مزاحمة لفظية أو حضور لغوي لا يتعلق الغرض به.( )"

وتتضح الغاية الإقناعية لحذف المسند إليه كذلك في قولها:" مذعنا إذا ركن إليه" فقد حقق الحذف الإيجاز والاختصار، لأنَّها لو لم تحذف المسند إليه لقالت: يركن إليه فلان وفلان إلخ، فالحذف قد أغناها عن هذا التفصيل المتعذر، وقد حصلت الغاية الإقناعية بهذا الإيجاز، وهي أنَّ عمرت يُلجأ إليه في الملمات والشدائد، وقد أشعر بتحقق المعنى في عمر – رضي الله عنه- التعبير بالماضي المبني للمجهول "ركن"، وذلك لأن الفعل المبني للمجهول يُعد: "ضمن أساليب دقيقة مع تأدية وظيفتين في آن واحد؛ وظيفة تعبيرية، ووظيفة فنية جمالية، وفي هذه وتلك دليل ساطع على حيوية اللغة العربية وثرائها، على من اتهم كفاية هذه اللغة في الوفاء بمتطلبات التعبير.( )"

ويتضح الحذف بتأثيره الإقناعي في قول أم المؤمنين: "ثم أبي ثاني اثنين الله ثالثهما" والتقدير: "هذا أبي"، فقد حذفت المسند إليه هنا لضيق المقام والاحتراز عن العبث بناء على الظاهر لأنَّه لو ذكر لحدث في الكلام ترهل وثقل في العبارة، فأم المؤمنين في مقام الرد والمدافعة عن أبيها فلا يحسن معها إطالة الكلام، حتى يكون للكلام وقعه وتأثيره على النفوس بهذا الحذف "ويحسن الحذف لقوة الدلالة عليه، أو يقصد به تعديد أشياء، فيكون في تعدادها طول وسآمة، فيحذف ويكتفى بدلالة الحال، وتترك النفس تجول في الأشياء المكتفي بالحال عن ذكرها... ولهذا القصد يؤثر في المواضع التي يراد بها التعجب والتهويل على النفوس.( )"

وقد أنتج الحذف مقدمة مفهومة من منطوق الكلام، وهي أنَّ أباها كان ثاني اثنين، وأول من هاجر مع النبي ﷺ والنتيجة الحجاجية المفهومة من منطوق غير القولي هي: أنَّ أباها كان رجلًا متميزًا ذا شأن عظيم.

والقضية الحجاجية التي قدمتها أم المؤمنين عن طريق الحذف قد أسهمت في إقناع المتلقين وجعلتهم يقرون ويعترفون بأفضلية الصدِّيق، وأن كلامها قد وقع موقع التأكيد والتقرير، " فالحذف أسلوب يستهدف رعاية حال المخاطب، مما لديه عملية التواصل مع الخطاب.( )"

ويبرز الحذف بتأثيره الإقناعي في قول أم المؤمنين ل:" أنا متنجزة بوعد الله ومستعينته بكثرة الاستغفار لك" فقد حذفت المسند إليه والتقدير: "وأنا مستعينة بكثرة الاستغفار" لدلالة ما قبله عليه وهو قولها:" وأنا متنجزة من الله موعده"، وقد حقق الإيجاز والاختصار، فهي في مقام الحزن على هذا الفقد الجلل، وقد أنتج الحذف قضية حجاجية أعانت على تحقيق الإقناع، فالمقدمة التي فُهمت من المنطوق أنها تستعين بالله وتستغفره في كل وقت، وعاون على ذلك التعبير بالجملة الاسمية التي تشعر بالثبوت والدوام على حال الاستغفار، وأنها واثقة من وعد الله.

والنتيجة الحجاجية الإقناعية هي: أنّها دائمًا في حاجة ماسة إلى عون الله – عز وجل ومغفرته- تعالى – وعفوه، ورضاه، والذي حاله كذلك لا يرتكب إثمًا، مما أثر في المتلقي واستماله إليها، وأقنعه ببراءتها المطلقة مما نسب إليها واتهمت به.

إذن الحذف وسيلة إقناعية شديدة التأثير في المتلقي؛ إذ المحتج لا بد أنْ تكون عباراته قصيرة مكثفة، يحاول أن يجذب انتباه من أمامه دون الملل.

الإطناب:

الإطناب من الآليات التي استخدمتها السيدة عائشة ل، في إقناع المتلقين؛ حيث إنَّها كانت تستغل طاقاته الحجاجية الإقناعية في الموضع الذي يستدعي ذلك.

ومن الإطناب: التكرار، فقد استعملته أم المؤمنين ل، لأنَّ له وظيفة خطابية تساعد على الإفهام والإقناع.

ويتضح الأثر الإقناعي للتكرار في قول أم المؤمنين: "أبي وما أبيه؟ أبي لا تعطوه الأيدي"، وقد كان هذا التكرار له دور مهم في تدعيم الحجة التي تساعدها في الإقناع بما تذكره في الحديث عن أبيها؛ إذ هي تريد مدح أبيها، والدفاع عنه من خلال هذا الإطناب.

فقد قدمت السيدة عائشة ل، بتكرار قضية حجاجية مقدمتها فهمت من منطوق الجمل المتكررة وهي: أن أباها لا يشبهه أحد في الفضل، والنتيجة الحجاجية هي: لا يجوز لأحد التقول على أبيها واتهامه بالباطل، أو النيل منه.

والذي فعَّل أثر القضية الحجاجية في نفس المتلقي هو التكرار وذلك لأنَّ: " للتكرار والتوكيد أثرًا كبيرًا في إثارة الأهواء والميول، وإذا استعملها الخطيب بمهارة ودقة جذب السامعين إلى رأيه وأخذهم إلى ناحيته.( )"

وقد آزر التكرار عوامل أخرى في العملية الإقناعية، ومنها: إضافة " أب" إلى ياء المتكلم، وأسلوب الاستفهام، ثم القسم المقرون بالنفي، وقد كان هذا تمهيدًا للكلام عن أبيها الصدِّيق، وذكر صفاته العظيمة.

ويبرز دور التكرار الإقناعي الحجاجي في موضع آخر من كلام أم المؤمنين ل، وذلك في قولها: "إن أبي شاهده غمرًا، غيبه غمرًا"، فقد استغلت طاقة التكرار في إقناع المتلقي بسماحة أبي بكر وكرمه، وأنَّه في أحواله جميعها سواء، تلك هي المقدمة الحجاجية التي فهمت من المنطوق القولي للعبارة المكررة، والنتيجة الحجاجية هي: فضل أبيها على المسلمين في تلك الفترة، وتميزه بالأخلاق الكريمة.

فكلمة "غمر" المتكررة عبَّرت بحروفها وجرسها عن المعنى الذي أرادت أم المؤمنين إبلاغه للمتلقين؛ إذ استوعبت هذه الكلمة معاني الكرم والسخاء، والبذل والعطاء جميعها في آن واحد؛ لأن في التكرار إلحاح، و"الإلحاح في بث الرسالة يجعلها لا تُمحى من الذهن بسهولة في حين أنَّ المعلومة التي تناقضها، وليس لها سند من المتابعة والإلحاح، قابلة للنسيان بسهولة، ونسيانها هو الذي يجعل المعلومة الأخرى ذات حظ أعظم في الديمومة والاستمرار.( )"

إذن التكرار الذي ورد في كلام أم المؤمنين ل، لم يكن عبثا ولا زينة، وإنما كان له هدفه وغرضه، فقد جاء التكرار لتحقيق غايات بلاغية حجاجية تصل بالمتلقي إلى الاقتناع والتسليم؛ إذ يعمل التكرار على انسجام الكلام وتوالده

.

ومن الإطناب الاحتراس:( )

الاحتراس من الآليات الحجاجية ذات التأثير الإقناعي؛ لما فيه من الفعل الاستمالي الذي يصل بالمتلقي إلى الإذعان والتسليم، والقبول دون معارضة.

ومن الاحتراس الذي قام بدور استمالي جعل المتلقي يسلم بالفكرة ويقبلها: قول أم المؤمنين "أنَّ أبي كان غمراً شاهده، غمراً غيبه، غمراً صمته إلا عن مفروض الله عند الحق"، فقد جاءت أم المؤمنين في هذا القول باحتراسين، الأول منهما في قولها: " شاهده غمراً، غيبه غمراً"، وهذا الاحتراس قد أقنع المتلقي بكرم أبيها في أي وقت، وعلى أي حال، والاحتراس الآخر قد جاء في قولها: " إلا عن مفروض" وقد احترست بهذا القول لتقنع المتلقي كذلك بأنَّ أباها كان من شيمه التسامح، إلا أنَّه لم يكن متسامحًا أبدًا في حق الله- سبحانه وتعالى -، فهو في هذه اللحظة شديد قوي، لا يتسامح ولا يتهاون، وحتى لا يشك أحد أنّ أبا بكر كان يتسامح لضعف في شخصيته، جاءت بهذا الاحتراس، فكان الصدِّيق يسير على هدي نبينا ﷺ ؛ إذ كان لا ينتقم من أحد قط إلا أنْ تنتهك حرمات الله، فالاحتراس أحدث قضية حجاجية كانت سببًا في استمالة المتلقين لكلام أم المؤمنين، وإقناعهم به، وحصول التسليم به منهم.

ويبرز الدور الإقناعي للاحتراس كذلك في قول أم المؤمنين ل، "فمن ردنا عن ذلك بحق قبلناه"، فقد احترست بكلمة "بحق "، لأنَّ الموقف كله لإحقاق الحق، فالمقدمة الحجاجية التي فُهمت من منطوق الكلام أنَّ أم المؤمنين لم ترد أي أحد يقدم لها النصح والإرشاد، خاصة إذا كان بمقياس الحق، أما إذا كان بغيره فلا، والنتيجة الحجاجية الإقناعية هي: أنَّها غير متعالية ولا متكبرة على النصح، ولم تتعصب لرأي، وهذه النتيجة فهمت من المنطوق غير القولي، وبهذا كان الاحتراس طريقًا للإقناع والتسليم.

تجلى الدور الإقناعي الحجاجي للاحتراس أيضًا في قول أم المؤمنين ل:" فقبضهُ اللهُ واطئا على هامةِ النِفاق مُذكِياً نارَ الحربِ للمشركين يَقظَان الليل في نُصرة الإسلام"، فقد احترست بقولها:" للمشركين" من أن يفهم أحد أنَّ الحرب كانت من عمرت، مع أي مسلم ابتغاء عرض من الدنيا زائل.

وقد أنتج الاحتراس مقدمة فهمت من المنطوق القولي وهي أنَّ عمر الفاروق قد أشعل نار الحرب على المشركين فقط، وأنَّ المؤمنين لا يحارب بعضهم بعضا، والنتيجة الحجاجية أنَّ الفاروق عمرا، كان مخلصًا محبًا للإسلام، مدافعًا عنه، ولم يحارب إلا الفئة الباغية الضالة، وأنه قد قضى على الفتن والمنافقين الذين كانوا يبثون الشقاق والنزاع والتفرقة بين المسلمين، وظل مؤرق المضجع، لم ينم مستريح البال حتى يعود للإسلام مجده، وقد كان الاحتراس هو سبيل أم المؤمنين ل، إلى الإقناع بهذا.

"ولما كان الخطاب الحجاجي مؤسسًا على الخلاف بين المتلقي والمنشئ فيسعى الأول جاهدا؛ لإيجاد منهج في الاتصال غايته استمالة عقول الآخرين والتأثير فيهم"، أي أنَّ نص أو خطاب لا بد أنْ يكون مؤسسًا على خطة حجاجية تهدف إلى الإقناع بطرح معين، أو إلى جذب المتلقين الأكفاء لإثراء النص ومحاورته"( )، وقد كان الاحتراس من الآليات الحجاجية التي وضعتها السيدة عائشة ل في خططها لإقناع المتلقي وتسليمه لأفكارها دون اعتراض.

المبحث الثاني

البلاغة الحجاجية للتصوير البياني ودوره الإقناعي

في كلام أم المؤمنين ل

يعد البيان من أهم الآليات لتحقيق الغاية الإفهامية، كان هذا مفهومًا قديمًا عند علماء العرب، وقد أشار الجاحظ إلى ذلك حينما كان يوضح مفهوم البيان؛ حيث يقول: " اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته ويهجم على محصوله كائنا ما كان البيان ومن أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع، إنما هي الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغتَ الإفهام وأوضحتَ عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع)")

فالبيان يسهم في فك غموض المعاني، والغور في تفاصيلها دون إيهام، فالكشف عن المعنى يسمح للمتلقي باستيعاب فكرة المرسل والاستجابة له، والجاحظ ربط البيان بالكشف والإفصاح، أما السكاكي فقد ربط البيان بالدليل، لأنَّ البيان وفروعه كالاستعارة والتشبيه... بمثابة الحجة أو الدليل بالنسبة إليه في الاستمالة والإقناع، فقد قال السكاكي: " من أتقن أصلًا واحدًا من علم البيان: كأصل التشبيه، أو الكناية، أو الاستعارة، ووقف على كيفية مساقه لتحصيل المطلوب به، أطلعه ذلك على كيفية نظم الدليل.( )"

ولما كان التصوير البياني يقوم على التشخيص والتقريب والإيضاح عُدَّ أسلوبا من أساليب الإقناع، والأسلوب البياني قد يؤدي المعنى الواحد بأساليب مختلفة، وهذا له أثر فاعل في إقناع المتلقين، و"التصوير هو الأداة المفضلة، فهو يعبر بصوره المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني، والطبيعة البشرية( )"

فنون التصوير البياني ودورها في الإقناع:

أولا: التشبيه ودوره الإقناعي في كلام أم المؤمنين ل:

"للتشبيه سمات خاصة ومزايا كثيرة، تجعله وسيلة مهمة من وسائل الإقناع، وأداة قوية من أدوات الحجاج البلاغي، كما أن له الأثر العظيم في النفس، وذلك عن طريق الإيضاح والتأكيد.

والسبب في دخول الأسلوب التشبيهي ضمن تقنيات الحجاج البيانية للنصوص الإبداعية، هو خصيصة الإدراك العقلي لهذا الفن، فالمنشئ يعقد بين صورتين، لا لتحقيق الجانب البياني الجمالي فحسب، بل ليعمق المنشئ حججه ويبينها بسياق صوري مؤثر.( )"

وللتشبيه أثر عظيم في النفس وذلك عن طريق الإيضاح، قال صاحب الصناعتين:" التشبيه يزيد المعنى وضوحا، ويكسبه تأكيدًا، ولهذا أطبق جميع المتكلمين من العرب والعجم عليه، ولم يستغن أحد عنه.( ) "

فالمتكلمون اعتمدوا على التشبيه في إقناع خصومهم، إذ أنَّ له دور هام في الإقناع وذلك لأنَّ: "للخيال نصيب كبير فيه، فهو يفتن حتى لا يقف عند غاية، وأنَّه يعمل عمل السحر في إيضاح المعاني وجلائها، فهو ينتقل بالنفس من الشيء الذي تجهله، إلى شيء قديم الصفحة، طويل المعرفة"( )،

فالمعاني في التصوير تصبح شاخصة متحركة، وهذا بغية إقناع المخاطبين، إذ يحصل الإقناع عن طريق الوجدان.

"وأما فائدة التشبيه من الكلام فهي أنك إذا مثلت الشيء بالشيء فإنما تقصد به إثبات الخيال في النفس بصورة المشبه به أو بمعناه، وذلك أوكد في طرفي الترغيب فيه أو التنفير، ألا ترى أنَّك إذا شبهت صورة بصورة هي أحسن منها كان ذلك مثبتا في النفس خيالًا حسنًا يدعو إلى الترغيب فيها، وكذلك إذا شبهنا بصورة شيء أقبح منها كان ذلك مثبتا في النفس خيالًا قبيحًا يدعو إلى التنفير عنها.( )"

وقد ورد التشبيه بتأثيره الإقناعي في قول أم المؤمنين ل: " ذاك طود منيف وظل مديد"، فقد شبهت أباها بمشبهين: شبهته أولًا بالجبل في الضخامة والشموخ، ثم شبهته بالظل المديد في أنَّ كلًا منهما يحتمى به، وهذان التشبيهان قد آزرا السيدة عائشة ل في إقناع المتلقي بعلو مكانة أبيها، وشدة هيبته، وعظمته، وقوة جانبه، فهو الصدِّيق القوي الرحيم، الثابت ذو المبادئ التي لا تتغير أبدا، وفي إيثارها للفظ "الطود- ظل"، إشارة واضحة إلى الهيبة والعظمة، والسند والمنعة.

وقد أخذت أم المؤمنين ل تشبيهها من واقع البيئة المحيطة بها، حيث صورت أباها بالجبل والظل، فالجبال كانت تحيطها من كل مكان، والمناخ الذي تعيشه كان شديد الحرارة، مما جعل التشبيه أشد تأثيرًا في المتلقي وأكثر إقناعًا، وتتمثل تأثيرية التشبيه في كلام أم المؤمنين ل في جذب انتباه المتلقي، واسترعاء فكره؛ ليتدبر ما بين الصورتين، وذلك بتقريب المعاني وتجسيدها؛ لذا كان التشبيه عاملًا من عوامل الحجاج والتأثير.

وقد أتت أم المؤمنين ل بالتشبيه البليغ محذوف الوجه والأداة؛ لتجعل المتلقي يدور في خلده أنَّ أباها هو الطود نفسه والظل عينه، فالمشبه في التشبيه البليغ يصير عين المشبه به، والتشبيه البليغ أقوى مراتب التشبيه، لأنَّ ذكر الأداة يضعف الصلة بين المشبه والمشبه به، "وذكر وجه الشبه يدل على انتفاء وجه آخر له، فحذفه يوهم عموم التشبيه في جميع صفات المشبه به، فحذف الأداة ووجه الشبه يخرج التشبيه من التقرير والمباشرة إلى نوع من المبالغة والتأكيد على تقريب طرفي التشبيه.( )"

وقد أنتج هذان التشبيهان مقدمة حجاجية هي: أنَّ أباها يشبه الجبل الشاهق، كما يشبه الظل المديد الذي يُحتَما به، وهذه المقدمة فُهمت من المنطوق القولي للتشبيهين، أمّا النتيجة الحجاجية فقد فُهمت من المنطوق غير القولي للتشبيهين، وهي: أنَّ أباها شامخ عظيم، عالي القدر رفيع الشأن، يتسم بالثبات الانفعالي والهدوء، وأنَّ أباها كان سندًا للرعية، وقد كان يُحتَمى به، كما يحتمي السائر من وهج الشمس وحرارتها بالظل المديد.

فقد استطاعت أم المؤمنين لأنْ تقنع المتلقين بما أرادت من خلال التشبيه الحجاجي وإقامة البرهان؛ إذ إنَّ التشبيه يندرج ضمن الآليات الحجاجية المهمة لارتباطه بالعملية التواصلية الإنسانية وهي آلية شائعة فاقت بقية الآليات استعمالا وتداولا فهو حجة تشغل ذهن المتلقي في البحث عن العلاقة الرابطة بين المشبه والمشبه به، وتلك العلاقة التي تحمل في طياتها الطاقة التأثيرية التي تحمل على الإقناع والقبول.

وبهذا يكون التشبيه قد أدى دوره في إقناع المخاطب؛ إذ جاء بالحجة الدامغة والاستدلال الواضح، والبرهان القاطع.

ويطالعنا التشبيه بأثره الاستمالي، ودوره الإقناعي في قول أم المؤمنين: " وسبق إذا ونيتم سبق الجواد إذا استولى على الأمد"؛ حيث شبّهت سبق أبيها في بلوغ الغاية بسبق الجواد في سرعة الوصول إلى الهدف، وقيدت المشبه به بأنَّه في حالة الإسراع؛ ليعاونها في إقناع الفئة التي نالت من أبيها بأنَّه كان سباقا إلى الخير، وقد بلغ الغاية في الدفاع عن الدين، ولم يتوان في ذلك أبدًا.

وقد أنتج التشبيه قضية حجاجية، مقدمتها فُهمت من المنطوق القولي، وهي: أنَّ الصدِّيق سبق إلى دخول الإسلام حيث توانى وتأخر غيره، والنتيجة الحجاجية فُهمت من المنطوق غير القولي للتشبيه، وهي: تميز أبيها، وأنَّ له فضل السبق والتقدم، وأنَّه قد ترك أثرًا ملموسًا لمن يأتي بعده، وقد رفع راية الإسلام عالية.

فكان التشبيه من السيدة عائشة ل كالدليل القاطع على أنه المبادر وحده دائما، السباق إلى المكارم والفضائل وله الأولوية في الوقت الذي يتخاذل فيه المتخاذلون.

وقد ذكرت السيدة عائشة ل في التشبيه ما يستطيعون فهمه والأقرب إليهم وهو صورة الفرس الذي يسرع في السباق؛ لتقنع المخاطبين، وتقرر الأمر، وتؤكده في نفوسهم، فساقت الكلام مقرونا بالحجة، ليلقى قبولا واستجابة من المتلقي.

ويتجلى دور التشبيه الإقناعي في قولها: " فتى قُريشٍ ناشِئاً، وكَهفُها كَهْلاً "، فقد شبهت أبا بكر الصدِّيق وحاله مع قومه وهم يرجعون إليه وقت الملمات بالكهف الذي يأوي إليه الخائف طالبًا للملجأ الآمن، ويتضمن هذا التشبيه استدلالًا مصحوبًا بالبرهان القاطع على فضل أبي بكر الكبير في جميع مراحل عمره، خاصة مرحلتي الشباب والكهولة التي يهتم فيها المرء بنفسه ولا يلتفت فيها إلى شيء آخر، لكن أباها لم يفعل ذلك بل إنَّه كان كسقف لهم يحتمون به، ويعتدون بحمايته ونصرته لهم.

ويلمح التخصيص الذي أفادته الإضافة في قولها: " فتى قريشا "، فهذه الإضافة قد أشعرت باختصاص أبيها بالقوة والفتوة، وكأنَّه لا فتى في قريش إلا الصدِّيق.

فمن خلال التشبيه استطاعت أم المؤمنين ل إقناع المتلقي بما كان عليه الصدِّيق ت وقد جمعت بين المتضادات عن طريق التشبيه.

والتشبيه بما يشمله من معانٍ متضادة قد أنتج مقدمة حجاجية استشعرت من المنطوق القولي للتشبيه، وهي أنَّ أباها كان فتى قريش، كما أنَّه يشبه الكهف في كهولته، والنتيجة الحجاجية قد استُشفت من المنطوق غير القولي للصورة التشبيهية، وهي شجاعة أبيها، وإقدامه، وقوته الدائمة حتى في كهولته، وأنَّه هو الملاذ والحصن.

فبهذا التشبيه قد استطاعت أم المؤمنين ل أنْ تأتي بالدليل القاطع والحجة الساطعة والبرهان القائم، وأنْ تقرر في أذهانهم وتثبت ما أرادت وصف أباها به.

ويتضح التأثير الاستمالي، والدور الإقناعي للتشبيه البليغ في قول أم المؤمنين ل: "ثم اضطرب حبل الدين بعده"؛ حيث شبهت الدين بالحبل في أنَّ كلًا من هما وسيلة للإنقاذ من المهالك، وقد أنشأت أم المؤمنين ل هذا التشبيه؛ لتقنع المتلقين بأهمية التمسك بالدين والاعتصام به، وأنه لا يجوز التخلي عنه، ويجب تحكيمه في كل أمر من أمور الحياة، في كل وقت وحين.

وقد أنتج التشبيه البليغ مقدمة حجاجية فُهمت من منطوق الكلام، وهي اضطراب المسلمين بعد وفاة الرسول ﷺ والنتيجة الحجاجية التي فُهمت من المنطوق غير القولي للتشبيه هي: أنَّ الدين هو طوق النجاة لكل أحد ولا بد من الاعتصام والتمسك به، فللتشبيه بما أنتجه من قضية حجاجية دور فاعل في إقناع المتلقي، والتأثير عليه، كذلك بما فعله من تقريب المعاني إلى الأذهان بغية حصول الإفهام والإيضاح مع الإيجاز والاختصار.

ويبرز الفعل التأثيري، والدور الإقناعي للتشبيه في قول أم المؤمنين ل:" وأغاض نبع الردة"، وهذا التشبيه بليغ كالتشبيه الذي قبله، وقد جاءت به أم المؤمنين ل؛ لما فيه من قوة المعنى وشدة التأثير"؛ حيث شبهت الردة بالنبع في أنَّ كلًا منهما يتسع شيئًا فشيئًا، وهذا التشبيه يوحي بأنَّ فتنة الردة كانت في أولها ولم تتسع كثيرًا، فأبو بكرت قد لحقها في بدايتها قبل تفاقمها، وكلمة "أغاض"، تشعر بأنَّ أبا بكر قد أنهى هذه الفتنة وقضى عليها من جذورها؛ لما يشعر به التعبير بالفعل الماضي من تحقق الوقوع.( )"

وقد أقنعت أم المؤمنين المتلقين من خلال هذا التشبيه بفضل الصدِّيق، فلولاه لكانوا في شقاق ونفار، وحكم عليهم بالفرقة والهلاك.

وتكمن روعة التشبيه هنا في أنَّه: "يستمد قوته من الخيال، فكما أنَّ الرسم والتصوير يعتمدان على الأصباغ والأحجار التي تؤلف وتصقل لترمز إلى طبيعة جميلة، أو فتنة ساحرة، أو عبقرية نادرة، نجد أن التشبيه يشاركهما في الإفصاح عن الفكرة، والتعبير عن العاطفة بما فيه من عنصر الخيال الذي يقابل تلك الأصباغ والأحجار.( )"

وقد أنتج التشبيه مقدمة حجاجية فُهمت من منطوق الكلام، وهي أنَّ الصدِّيق قد قضى على المرتدين، وأنهى الفتنة من منبعها الأصلي، والنتيجة الحجاجية هي: أثر أبي بكرت العظيم وفضله الكبير الذي لا ينكره منصف، فالتشبيه بوصفه وسيلة حجاجية قد مكن السيدة عائشة ل من إيصال المعنى إلى المتلقين، إذ التشبيه الحجاجي يزيد المعنى وضوحا فيَقْنَع به المتلقي.

ويأتي التشبيه بدوره الحجاجي في قول أم المؤمنين ل: "واجتحَى دفينَ الداءِ"، فقد شبهت أم المؤمنين ل أباها وقضاءه على المرتدين بمن يحفر البئر حتى يستخرج منها الماء.

وقد تولد عن التشبيه مقدمة حجاجية فُهمت من منطوق الكلام وهي: أنَّ أباها في قضائه على المرتدين يشبه من يحفر البئر حتى يستخرج منها الماء، والنتيجة الحجاجية هي أنَّه ت قد بذل جهدًا كبيرًا، وضحى بالغالي والنفيس من أجل القضاء على الردة والمرتدين.

وبهذا التشبيه وما يتضمنه من حجج وبراهين قد أقنعت أم المؤمنين عائشة – رضي المتلقي بأن الصدِّيق قد بذل جهدًا كبيرًا، وتحمَل الكثير، ولم يقصِّر، أو يتوانى في سبيل تحقيق مصلحة للإسلام والمسلمين.

ثانيًا: الاستعارة ودورها الإقناعي في كلام أم المؤمنين ل:

"تندرج الاستعارة ضمن آليات الحجاج اللغوية التي يستغلها المتكلم بقصد توجيه خطابه وتحقيق أهدافه من الخطاب.

والاستعارة الحجاجية هي النوع الأكثر انتشارًا لارتباطها بمقاصد المتكلمين، وبسياقاتهم التخاطبية والتواصلية"( )، وذلك حين يمتزج الموضوع بالمحمول فيعطي للقول قوته الدلالية؛ ليكون أكثر قدرة على التأثير، فتدفع المتلقي إلى الاقتناع.

وخاصية الاستعارة الحجاجية تتمثل في جعل المتلقي يستنتج النتيجة التي يريدها المتكلم، ومن هنا كانت الاستعارة إحدى تقنيات الحجاج الإقناعي المهمة، والتي تؤثر في المتلقي وتجعله يسلم بالأمر ويقبله دون اعتراض أو جدل"( ) فهي من أهم أساليب بناء الصورة الفنية في الخطاب الأدبي شعرًا كان أم نثرًا، وذلك لأنها تكمن بها "جمالية قادرة على تحريك وجدان المتلقي والفعل فيه فإذا انضافت تلك الجمالية إلى حجج متنوعة وعلاقات حجاجية تربط بدقة أجزاء الكلام وتصل بين أقسامه، أمكن للمتكلم تحقيق غايته من الخطاب"( )؛ إذن للاستعارة دور مهم في الإقناع؛ حيث إنها تقريب للمعاني وتجسيد لها، فهي تدني البعيد وتقع في النفس موقعا، "ولها تأثير على السامع وهي من محاسن الكلام إذا وقعت موقعا ونزلت موضعا"( ) ولها كذلك الأثر الاستمالي الذي يحقق الإقناع للمتلقي.

ويلعب التصوير الاستعاري دورا مهما في إقناع المخاطبين بالحجة في قول أم المؤمنين ل: " يريش مملقها، حيث شبهت الفقير المملق الذي لا يستطيع القيام بحاجته بالطائر الذي يحتاج إلى تعهد حتى يكبر ريشه، ويقوى على الطيران والحركة، ويستطيع القيام بنفسه، وحذف المشبه به، وذكر شيء من لوازمه، وهو يريش على سبيل الاستعارة المكنية.

والتعبير بالاستعارة في هذا المقام كان من السيدة عائشة ل؛ لتقنع المتلقي بأن الصدِّيق كان يعطي عطاء من لا يخشى الفقر؛ إذ كان يعطي الفقير ويتعهده بالإنفاق حتى لا يحتاج شيئا،

ولم يخش ت من نفاذ ماله أبدًا، فلم يعطه مرة واحدة وفقط، بل كان يعطيه مرات ومرات، حتى يشبع ويَقْنَع.

وقد أنتج التصوير الاستعاري مقدمة حجاجية فُهمت من المنطوق القولي للتصوير، وهي: أن الصدِّيق كان يتعهد الفقير منذ الصغر حتى يستطيع الإنفاق على نفسه، والنتيجة الحجاجية المفهومة من المنطوق غير القولي للاستعارة هي: شدة كرم أبيها ب وكثرة سخائه، واهتمامه البالغ بشؤون المسلمين خاصة ضعيفهم، ودوام عنايته برعيته.

وهذا التصوير بحجاجيته قد أقنع المتلقين والسامعين بأن أباها لا يترك محتاجا، أو ضعيفا

إلا ويقف بجواره، ويسد حاجته.

وتكمن حجاجية الاستعارة في أنها تمتلك: "جمالية قادرة على تحريك وجدان المتلقي والفعل فيه، فإذا انضافت تلك الجمالية إلى حجج متنوعة وعلاقات حجاجية تربط بدقة أجزاء الكلام، وتصل بين أقسامه، أمكن للمتكلم تحقيق غايته من الخطاب.( )"

ويتضح دور الاستعارة التأثيرية بفعلها الإقناعي في قول أم المؤمنين ل:

"يحي فيه ما أمات المبطلون"، فقد استعارت الإحياء للهداية التي هي الدلالة على الطريق الذي يوصل إلى المطلوب، واستعارت الإماتة للضلال الذي هو الدلالة على طريق الباطل استعارة تبعية، وقد أقنعت أم المؤمنين ل بهذا التصوير المتلقي بأن أباها قد قام بالمحافظة على السُّنة، وساهم في انتشار

الإسلام، والقضاء على الباطل، والعمل على زواله؛ ذلك لأن التصوير قد تضمن قضية حجاجية مقدمتها فُهمت من المنطوق القولي للاستعارة، وهي: أن الصدِّيق قد أحيا الدعوة، وقد استمر على هذا النهج، ولم يتوقف عن نشر الدعوة في أرجاء الدنيا طيلة حياته، والنتيجة فُهمت من المنطوق غير القولي للتصوير وهي: أن أبا بكر ت كان حريصًا على مصلحة الإسلام، وأن اتساع رقعة الإسلام وانتشاره كان همه الأول والأخير، وهذه القضية قد أسهمت بشكل واضح في نجاعة حجاج السيدة

عائشة ل في إقناع المتلقي بالجهد الذي بذله أبوها من أجل الإسلام والمسلمين.

ولتزيد المتلقي إقناعًا لجأت ل إلى التعبير بالفعل المضارع "يحي" لتشعر باستمرار أبيها في هذا العمل العظيم وتجدد ذلك منه، وكأنه أخذ عهدًا على نفسه: أنه يبذل الغالي والنفيس، ويفعل قصارى جهده؛ حتى يحقق نصرة الإسلام.

وحينما أرادت الحديث عن ضلال المبطلين (إماتة الباطل) عبرت بالفعل الماضي " أمات" لتقنع المتلقي بأن القضاء على الباطل قد تم وتحقق، فبالفعل قضى أبوها على الفساد، ونال من المفسدين.

وخاصية التصوير الحجاجية هي التي جعلت المتلقي يُستمال، فيتأثر، ثم يقتنع ويسلم.

ويبرز الدور الحجاجي الإقناعي للاستعارة في قول أم المؤمنين ل: " ومرج عهده" ، فقد شبهت فساد أمر الدين وعدم ثباته في نفوس الناس بالاضطراب، ثم اشتق من المرج مرج بمعنى اضطرب على طريق الاستعارة التبعية في الفعل، وهذا التصوير قد كان مطية السيدة عائشة ل للوصول إلى عقل المتلقي وإقناعه بالاضطراب والفساد الذي كان يعم الأمة في تلك الفترة، وقد أنتج التصوير مقدمة حجاجية فُهمت من منطوق الكلام، وهي أن الدين قد اضطرب بعد وفاة الرسول ﷺ وحاول المغرضون النيل من الصدِّيق، والنتيجة الضمنية لهذا التصوير، هي: أنَّ أباها قد بذل مجهودًا مضنيًا؛ لتستقيم الأوضاع، وقد دافع عن الدين دفاعًا مستمرًا حتى استقرت الأمور، واطمأن على الأمة.

وقد كان للاستعارة الأثر الواضح في إقناع المتلقي بهذا الأمر، وتأكيد الفكرة لديه، فـــ" الاستعارة تجعل الحكم الذي تثبته قطعيًا لدى المخاطب، فبفضل خاصية المطابقة يصبح المخاطب في وضع

لا يمكنه معه الشك في الحكم الذي تثبته الاستعارة.( )"

ويظهر التأثير الاستمالي، والأثر الإقناعي للتصوير الاستعاري في قول السيدة عائشة ل: " بغي الغوائل، ونصبت الحبائل" حيث شبهت من يريد الكيد للدين بالصياد الذي يوقع الفريسة في شركه، وحذفته، وذكرت شيئًا من لوازمه، وهي (نصب- الحبائل) على سبيل الاستعارة المكنية، وقد أقنعت السيدة عائشة ل المتلقي بأنَّ الإسلام في عهد أبيها قد واجه كثيرًا من المخاطر والمشاكل التي يمكن أن تودي به وتهدمه، لكن أباها قد وقف لهم بالمرصاد، فقضى عليهم، واستأصل شوكتهم.

وقد أنتج التصوير الاستعاري مقدمة حجاجية فُهمت من المنطوق القولي للنص، وهي: أن هناك من يكيد للدين، ويحاول القضاء عليه، والنتيجة الحجاجية التي فُهمت من مضمون التصوير الاستعاري هي: أنَّ أباها قد تحمل الصعاب، وتكبد المشاق في فترة توليه أمر المسلمين، وأنَّه قد عان الكثير وذاق الأمرين من أجل الحفاظ على كيان الإسلام والهوية الإسلامية، وبهذا كانت الاستعارة وسيلة حجاجية، لها الأثر الفاعل في استمالة المتلقي وإقناعه، فقد أقامت السيدة عائشة ل بهذا التصوير الحجة عليهم، وأتت بالدليل القاطع والبرهان الساطع؛ لذا كانت تتحدث بأسلوب انفعالي كان له أثره على المتلقين.

وتفاجئنا السيدة عائشة ل بلوحة فنية رائعة تضم استعارات متعددة، ذات خطوط واضحة، وألوان زاهية؛ وقد ساهمت هذه الألوان وتلك الخطوط بدورها في إقناع المتلقين بفكرتها، وذلك من خلال قولها:" وبخع الأرض فنخعها حتى قاءت أُكلها، ولفظت خبيثها، ترأمه ويصد عنه وتصدى له، ويأباها"، فقد شبّهت الأرض بإنسان يقيء ويلفظ ما في بطنه، وحذفته، وذكرت شيئًا من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية، وتشبهها مرة أخرى بالناقة التي ترأم وتعطف على ولدها، وقد حذفت الناقة وذكرت شيئًا من لوازمها وهو كلمة: (ترأم)، وأخيرًا شبهت الدنيا بالفتاة الحسناء التي تتصدى بجمالها، وقد أقنعت السيدة عائشة المخاطبين بهذه اللوحة الكلية بأنَّ عمر بن الخطاب ت قد أتته الدنيا بكل خيرها وجمالها، ولم تستطع أن تغريه بزينتها وغرورها، وكان همه الأول والأخير شؤون المسلمين.

وهذه الاستعارات التي تكاتفت في تكوين صورة حجاجية كلية كانت عاملًا من عوامل التأثير، والاستمالة ثم الإقناع؛ إذ أنتجت هذه الصورة قضية حجاجية مقدمتها فُهمت من المنطوق القولي للصورة، وهي: أن الأرض أخرجت كنوزها، وفاضت بخيراتها في عهد عمر بن الخطاب ت، وأنَّ الدنيا قد أتته راغمة منقادة له، فلم يعبأ بها، والنتيجة الحجاجية التي استشعرت من المنطوق غير القولي هي: نجاح عمر بن الخطاب ت في إدارة البلاد وازدهار عهده، وكثرة الخير على يديه، ومع ذلك فإنَّه كان زاهدًا في كل شيء، ولا تغريه مفاتن الدنيا.

وقد نجحت أم المؤمنين ب في المجيء بالحجة الدامغة، والبرهان القاطع باختيار التعبير التصويري المناسب الذي كان بمثابة الدليل على ما قالته من أنَّ عمر الفاروق ت أعاد للإسلام الخير، فأخرج لهم كنوز الأرض حتى فاضت الأموال، وكثر الخير، وفُتحت الأمصار على يديه، كل هذا أكده التصوير؛ ذلك لأنَّ توظيف الأساليب البلاغية والوسائل الخطابية بشكل صحيح يضمن تحقيق الإقناع؛ وذلك لأنَّ غاية المحاج وهدفه الأول هو الإقناع.

وتأتي الاستعارة بدورها الإقناعي في قول أم المؤمنين ل: " شرد الشرك شذرَ مَذرَ"، فقد شبّهت الشرك بالإنسان الذي يشرد، وحذفته، وذكرت شيئا من لوازمه وهو التشريد على سبيل الاستعارة المكنية، وهذا التصوير قد جسد الشرك وكأنّه إنسان قد تشرد ولم يكن له مأوى أو وطن يلجأ إليه، فحاله الفزع والخوف دائمًا، وقد كان التصوير سبيل أم المؤمنين ل للتأثير في المتلقي وإقناعه بأنَّ أباها قد قضى على الشرك والمشركين، وقطع دابرهم، واستأصل شوكتهم، وفي الإتيان بـ " شذر مذر" ما يزيد من الإقناع بأن المشركين قد تبددوا وتفرقوا، ولم يعد لهم وجودٌ.

وقد حقق التصوير الاستعاري بعدًا حجاجيًا إقناعيًا؛ إذ تضمن مقدمة حجاجية مفهومة من المنطوق القولي للصورة الاستعارية، وهي أنَّ الشرك قد انتهى على يد سيدنا أبي بكر ت، وقد فرق المشركين وقام بتشتيتهم، والنتيجة الحجاجية التي أرادت السيدة عائشة ل أن ترسخها في ذهن المتلقي هي: أنَّ أباها كان قويًا، حازمًا، يقظًا، ممسكًا بزمام الأمور، قابضًا عليها بيدٍ من حديد.

وبالمقدمة والنتيجة الحجاجيتين اللتين أنتجهما التصوير استمالت السيدة عائشة ل المتلقي وأقنعته بما أرادت، فقد جاءت بالاستعارة لتجذب انتباه المتلقي، وتسترعي فكره، ليتدبر ما بين الصورتين، وبهذا تكون الاستعارة عاملًا من عوامل الحجاج والتأثير، وقد كان للخيال نصيب في هذا الإقناع.

ويتضح الدور الحجاجي الإقناعي للاستعارة كذلك في قول أم المؤمنين ل:" طوقه وهف الإمامة"؛ حيث شبّهت أعباء الإمامة بحبل، ثم حذفت المشبه به، ورمزت إليه بشيء من لوازمه، وهو التطويق على سبيل الاستعارة المكنية، وهذا التصوير يستميل المتلقي ويقنعه بحجم المسؤولية التي كانت على عاتق سيدنا أبي بكر الصدِّيق ت، وكأن الإمامة كانت قيدًا يغل عنقه، ولا يستطيع الفكاك منه، مما يزيد في الإقناع بصعوبة التكليف الذي كلف به.

وقد أسفرت الاستعارة عن قضية حجاجية تتمثل مقدمتها الحجاجية في أنَّ الصدِّيق قد طوقته أثقال الخلافة وكأنَّه مكبل بها، ولا يستطيع الانفكاك منها، وقد فُهمت هذه المقدمة من المنطوق القولي للنص، والنتيجة الحجاجية التي فُهمت من المنطوق غير القولي تتمثل في قدرة أبي بكر على تحمل المسؤولية، والهَم الذي أحاط به من وقت توليه الخلافة، وكأنَّه قيل: فبما أنَّ أبا بكر تحمل المسؤولية وكان مهمومًا بها، فهو قوي قادر على تحمل الصعاب.

والاستعارة كان لها الدور الأكبر في الإقناع بهذه الفكرة؛ إذ أضفت على الكلام بهاء وروعة، وصورت المعاني وكأنَّها يشاهدها المتلقي، مما يزيد في التأثير والإقناع، فينقاد المخاطب انقيادًا نحو القبول والتسليم.

ويلعب التصوير الاستعاري دورا استماليًا إقناعيًا في قول أم المؤمنين ل:" ورتق لكم فتق النفاق"؛ حيث شبّهت النفاق بشيء يُرتق، وحذفت المشبه به، ورمزت له بشيء من لوازمه، وهو الرتق على سبيل الاستعارة المكنية، وقد حاولت السيدة عائشة ل بهذا التصوير أن تستميل المتلقين، وتقنعهم بأن سيدنا أبا بكرت قد أعاد المسلمين إلى ما كانوا عليه في زمن الرسول ﷺ من الإيمان الصحيح، والعقيدة السليمة، فقد حارب المرتدين وقضى عليهم، وأنهاهم.

وقد أنتج التصوير الاستعاري مقدمة حجاجية فُهمت من منطوق الكلام وهي أن الصدِّيق قد أنهى النفاق، وقضى عليه، والنتيجة الحجاجية هي: أن أباها كان حريصًا على الوقوف والتصدي لأهل الكفر والنفاق، والعزم على رد المسلمين إلى ما كانوا عليه في حياة رسول الله ﷺ، وكان همه الأول الدين وما يتصل به، فقد وقف في وجه هؤلاء الذين أرادوا الوقيعة بين المسلمين، وقد أفسحت الاستعارة المجال لخيال المتلقي ليتصور ما يتصور، فكانت طريقًا سهلًا لإقناع المتلقين بما فعله الصدِّيق من أجل الإسلام والمسلمين.

وتتضح الاستعارة بدورها الإقناعي في قول أم المؤمنين ل:" وجمع أعضادها ما جمع القرآن" حيث شبهت الفتنة بجسد له أعضاد، وحذفت المشبه به، ورمزت إليه بشيء من لوازمه، وهو الأعضاد على سبيل الاستعارة المكنية، وقد حاولت السيدة عائشة ل بهذا التصوير استمالة المتلقي وإقناعه بدور عمر بن الخطاب ت العظيم في إخماد الفتنة والقضاء عليها من جذورها، كما أرادت ل من خلال هذا التعبير إقناعهم كذلك بدوره الأكبر في جمع القرآن؛ إذ قام بدور مهم في هذا الأمر، فهو الذي أشار على أبي بكر ت بجمع القرآن وقد رفض أبو بكر ت هذا في أول الأمر ثم أدرك أهميته فوافق.

وقد تضمن التصوير مقدمة حجاجية فُهمت من المنطوق القولي للتصوير وهي: أن عمر بن الخطاب ت قد أنهى الفتنة وقضى عليها، كما جمع قلوب المسلمين بإشارته على أبي بكرت بجمع القرآن، والنتيجة الحجاجية التي فُهمت من وراء اللفظ في العبارة، وهي: أن عمر بن الخطاب ت كان قويًا

شديدا فيما يخص الدين، ولا يخاف في الله لومة لائم، فقد أخمد الفتنة، وجمع شمل المسلمين، ولولاه لم تخمد هذه الفتن ولم تنطفئ نارها.

وقد كان للخيال نصيبه ودوره البارز في الإقناع؛ حيث صورت السيدة عائشة ل فالاستعارة تجعل الحكم الذي تثبته لدى المخاطب متحققا، بحيث لا يمكنه الشك في هذا المعنى، وهذه وسيلة إقناعية يجب التنبه إليها.

الاستعارة التمثيلية:

الاستعارة التمثيلية تقدم وظيفة تأثيرية استمالية، ذات غاية حجاجية إقناعية من خلال بنائها اللغوي القائم على الادعاء، كما تسهم في التأثير في المخاطب من خلال الخطاب الذي يوجهه له المتكلم، وقد أشار الإمام عبد القاهر الجرجاني إلى ذلك قائلا:" واعلم أن مما اتفق العقلاء عليه أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه.. كساها أبهة، وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها، وشب من نارها... فإن كان مدحا كان أبهى وأفخم، وأنبل في النفوس وأعظم.. وإن كان ذما كان مسه أوجع، وميسمه ألذع، ووقعه أشد، وحده أحد، وإن كان حجاجا كان برهانه أنور، وسلطانه أمهر، وبيانه أبهر.( ) "

ونرى الاستعارة التمثيلية تحقق وظيفتها الإقناعية في قول أم المؤمنين ل:" وامتاح من الهوة" ؛ حيث شبهت حال أبيها وهو يحاول إنقاذ الذين انزلقوا في فتنة الردة بشتى الطرق، وبكل الوسائل مهما كلفه الأمر من عناء وتعب بصورة من يستقي ويحاول أن يجلب الماء بشتى الوسائل من البئر العميقة على سبيل الاستعارة التمثيلية، وقد حاولت أم المؤمنين ل بهذه الصورة التأثير في المتلقين، وإقناعهم بفضل أبيها ت في إنقاذ كثير من المسلمين كادوا يتركون دينهم ويَسقُطُون في الهاوية ومهالك العقائد الفاسدة، وتوضح الاستعارة المجهود الكبير الذي بذله أبي بكر ت في إخماد فتنة الردة.

وقد أسفرت هذه الاستعارة التمثيلية عن قضية حجاجية حققت الأثر الإقناعي وهي: أنَّه بما أنَّ

أبا بكرت قد حاول إنقاذ الذين انزلقوا في فتنة الردة بشتى الطرق، وبكل ما أوتي من قوة، فهو حريص على مصلحة الإسلام والمسلمين، وأنَّه صاحب الفضل الكبير في إنقاذ كثير من المسلمين كادوا يتركون دينهم ويَسقُطُون في هاوية ومهالك العقائد الفاسدة، وقد تحمل ما لا يتحمله أحد، فقد بذل جهدًا كبيرًا لإتمام ذلك الأمر.

وقد استطاعت أم المؤمنين ل من خلال هذه القضية الحجاجية التي تضمنها التصوير أنْ تجعل المتلقين يقتنعون بما فعله الصدِّيق ت، فالاستعارة قد حققت المبالغة والاختصار والإيجاز.

وتقوم الاستعارة التمثيلية بوظيفتها الإقناعية أيضًا في قول أم المؤمنين ل: " وأكبرت ذلك رجالات فَحَنَتْ قِسِيَّها، وَفَوَّقَتْ سِهامَها، وَأَمْشَلَتْهُ غَرَضًا" شبهت حال قريش وقد فزعت لحرب الإسلام بصورة الصائد الذي توجه إلى قسيه وسهامه ليوقع فريسته، ثم رجع خائبا،

وذهبت أحلامه وآماله في الرياح سدى، وقد أقنعت أم المؤمنين ل المخاطبين من خلال الاستعارة التمثيلية باجتماع هؤلاء المغرضين وتكاتفهم في سرية وحذر على الباطل؛ للنيل من أبي بكر الصدِّيق ت والإسلام بسهامهم وقَسيّهم، لكن هذه السهام وتلك القسي لم تؤثر في الإسلام، ولم تنقص منه شيئا،

فعلى العكس باءت مساعيهم بالفشل، وتلاشت مآربهم، ولم يهزوا شعرة واحدة في أبي بكر ت، بل جعلته أكثر حرصًا، وأشد قوة.

وقد أنتج التصوير مقدمة حجاجية وهي: أنَّ المفسدين قد اجتمعوا على الإسلام واتفقوا على هدمه، والنيل منه، وقد فُهمت هذه المقدمة من النص، والنتيجة الحجاجية هي: قوة الإسلام وثباته في قلوب وعقول أهله؛ وذلك بسبب تماسك أبي بكرت وقوته، وتركيزه الشديد واهتمامه البالغ بكل ما يتعلق بالإسلام، والنتيجة استشعرت ضمنًا من النص.

والقضية الحجاجية التي قدمتها السيدة عائشة ل من خلال التصوير الاستعاري هي التي جعلت المتلقي يقتنع ويسلم بالأمر، " ولا غرو فإن هذا اللون من الإبداع يضعنا أمامَ ضربٍ من البيان لا تتراءى شُطآنه، ولا تحاط أنواعه، كلّما أبحرت وخِلتَ أنك قد قاربت الشاطئَ ألفيت أنك ما تزال في ثبج المحيط بل ما زلت في أول مسبحك، وأنَّك كلما تكاثرت الفنون حسبت أن قد استقصيت، وأنت في واقعك ما اجتنيت إلا نزيرًا، ومن أمامك ما لا قِبَلَ لعمرك أن يتَّسع لاحتنائه كلّ هذا حفزٌ لنا ألا يكونَ حالُنا حال المُكتفي بما اجتنى الآباء والأجدادُ من ذلك الضربِ من البيان، بل في الجِنانِ ما لم تره عينُ الآباء، بمَلْكِ الأحفاد أن يسعوا إليه.( )"

ويتجلى الدور الإقناعي للاستعارة التمثيلية في قولها ل:" ضرب الدين بجرانه وَرَسَتْ أَطْوادُهُ، وَدَخَلَ النَّاسُ فِيهِ أَفْواجاً "، فالسيدة عائشة ل تصور الدين حينما استقر وتمكن في النفوس في عهد أبيها بهيئة البعير عندما يرقد على الأرض ويستقر ويمد عنقه لشعوره بالراحة، كما صورته بصورة الأرض الثابتة المستقرة بجبالها الراسيات، بجامع الهيئة الحاصلة من الثبات والاستقرار بعد تعب وعناء.

وقد حاولت إقناع المتلقي بالصورة التمثيلية التي نسجتها في خطبتها، فقد أثرت فيهم، وأقنعتهم بفضل أبي بكرت في استقرار الإسلام وهدوء أوضاع المسلمين، وأنّ هذا قد حدث بسبب قوته وحسمه، وتحمله الصعاب، فقد وقف موقفًا مُشَرِّفًا مدافعًا صادًا عن دين الله، وقد صدق عليه قول الحق سبحانه وتعالى: سمحمِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ٢٣سجى سجحالأَحۡزَاب : تحمتحجسحج. فبحربه ضد المرتدين ووقوفه مع الإسلام دخل الناس في دين الله أفواجا.

والذي أعان أم المؤمنين ل على إقناع المخاطبين هي القضية الحجاجية التي أسفر عنها التصوير، فمقدمة القضية الحجاجية قد فُهمت من منطوق النص الذي اشتمل على التصوير، وهي أنَّ الإسلام قد استقر وعاد، إلى قوته السابقة التي كانت في عهد رسول الله ﷺ، والنتيجة الحجاجية هي: أن استقرار حالة الدين وثباته وتمكنه إنما تحقق بفضل أبي بكرت، إذ كرس حياته للإسلام والمسلمين.

وتكمن بلاغة الاستعارة التمثيلية هنا في تجسيد المعنى وتقويته وتقريبه للأذهان، كما أظهرت الاستعارةُ المعاني المعنوية في صورة حسية، "فقد ثبت وتحقق أن فائدة الكلام الخطابي هو إثبات الغرض المقصود في نفس السامع بالتخييل والتصوير حتى يكاد ينظر إليه عيانًا( )"

والاستعارة التي اتكأت عليها أم المؤمنين ل في هذا التعبير قد حققت لها التأثير والإقناع.

ثالثًا: البلاغة الحجاجية للكناية ودورها الإقناعي في كلام أم المؤمنين ل

أسلوب الكناية من الأساليب التي تعطي للنص معنيين أحدهما قريب غير مقصود، وقد يكون مقصودًا أيضًا، وآخر يختفي خلف النص، وهو الذي يسعى إليه منشئ النص؛ لما له من تأثير قوي في المتلقي، ولما يمتلكه من مهارة فنية هي مانحة للنص سمة جمالية تكون ذات تأثير حجاجي يسعى إليه الخطيب لتحقيق الإقناع، أو الاستمالة، أو المشاركة، أو التغيير، فالكناية هي نمط من أنماط الإقناع ولون من ألوانه، وترجع حجاجية الكناية إلى ما فيها من تأمل، وانتقال من وسيط إلى وسيط، ومن معنى إلى معنى، لربط المعنى الكنائي بالمعنى الأصلي، وهذا يرسخ الفكرة، وبالتالي يقنع بها.

فللكناية دور مهم في الإقناع، وهي وسيلة يستخدمها المتكلم بغية حصول غرضه من المخاطب، "فهي تمنح المعنى إيحاءً وغموضا، والتعبير جمالا، والنفس قبولا، وقد أجمع الجميع على أن الكناية أبلغ من الإفصاح، والتعريض أوقع من التصريح... فنحن وإن كنا نعلم أنك إذا قلت: هو طويل النجاد، وهو جم الرماد كان أبهى لمعناك وأنبل من أن تدع الكناية، وتصرح بالذي تريد.( )"

"وتتصدر الكناية مرتبة متميزة في كيان البيان العربي، فالتعبير بالكناية له منزلة التصوير بالاستعارة، فكل منهما يصدر عن ذائقة فنية، وقيمة بلاغية تتعلق بفن القول.( )"

وتعد الكناية وسيلة من وسائل إثبات المعنى والاحتجاج إذ تؤكد المعنى وتثبته، فهي أبلغ من الحقيقة.

والإمام عبد القاهر يضع الكناية في مرتبة أرفع من الإفصاح معللا ذلك بأنَّ: " إثبات الصفة بإثبات دليلها، وإيجابها بما هو شاهد في وجودها آكد وأبلغ في الدعوى من أن تجئ فتثبتها هكذا ساذجا غفلا.( )"

ومن كلام أم المؤمنين الذي جاءت فيه الكناية بتأثيرها الحجاجي لاعبةً دورًا مهمًا في التأثير والإقناع قولها: "يرأب شعبها، ويلم شعثها"، فقد كنَّتْ السيدة عائشة ل بهاتين العبارتين عن الإصلاح ولم الشمل، فقد استخدمت فن التصوير: الكناية لتقنع المتلقين بأنَّ أبا بكر الصدِّيق قد قام بإصلاح ما أفسده المفسدون، وجمع كلمة المسلمين، وقضى على الفرقة بين المسلمين وأسباب الخلاف.

وقد كانت الكناية عاملًا من عوامل التأثير والإقناع؛ إذ أنتجت مقدمة حجاجية، وهي: أنَّ أباها قد عمل على التئام المسلمين ولم شملهم، والنتيجة الحجاجية هي:

أنَّ أبا بكر الصدِّيق كان ذا أثر واضح وله جهود كثيرة من أجل الإسلام والمسلمين، فقد كان صاحب إنجازات عظيمة لا يمكن لأحد إنكارها؛ إذ كانت واضحة جلية لكل صاحب عقل ودين.

وقد حققت الكناية التأثير والإقناع في هذا المقام؛ لما فيها من لطف التعبير ودقة التصوير، وإلباس المعقول ثوب المحسوس، وأكثر من هذا أنَّها في صور كثيرة تعطي الحقيقة مصحوبة بالدليل، وفي طيها البرهان، وأنّها تضع المعاني في صورة المحسوسات.

وتأتي الكناية بدورها الإقناعي الفاعل في وجدان المتلقي في قول أم المؤمنين:" شَجِيَّ النَّشَجِ"، فقد كنَّتْ أم المؤمنين ل بهذا القول عن رقة أبيها وأنَّه كان مرهف الحس.

وبهذه الكناية قد أقنعت السيدة عائشة ل المتلقي بأنَّ أباها كان مهمومًا بشؤون المسلمين، دائم البكاء من خشية الله، خاضعًا له، وأنَّ بكاءه كان بكاء الذليل الخائف من عذاب الله تعالى.

فكان التصوير الكنائي وسيلة أم المؤمنين ل للتأثير في المتلقي وإقناعه؛ أذ أنتج هذا التصوير قضية حجاجية مقدمتها مفهومة من المنطوق القولي الحجاجي للنص، وهي أنَّ أباها كان دائمًا شجيًا حزينًا مهمومًا بأمر الأمة، والنتيجة الحجاجية هي إخلاص أبي بكر الصدِّيق ت للإسلام، وقلقه الشديد على الأمة الإسلامية، وزهده في الدنيا، وأنَّه كان شديد الخشية والخوف من الله ـ، وأنَّ بكاءه لم يكن لعرض زائل أبدا.

وبالإضافة إلى ما أفادته هذهِ الكنايةِ من تأثير وإقناع فإنَّ لها مزيةً كبرَى؛ حيثُ تجعلُ المعنَى ألطفُ وأفخمُ، يقولُ عبدُ القاهرِ: "إثباتُكَ الصفةَ للشيءِ تثبتُها لهُ إذَا لمْ تلْقِهِ إلَى السامعِ صريحًا وجئتَ إليهِ منْ جانبِ التعريضِ والكنايةِ والرمزِ والإشارةِ كانَ لهُ منَ الفضلِ والمزيةِ ومنَ الحُسْنِ والرونقِ مَا لا يقلُ قليلُهُ، ولا يجهلُ موضعَ الفضيلةِ فيهِ.( )

وتطالعنا السيدة عائشة بتقنية الكناية بدورها الإقناعي مرة أخرى في قولها: " فما فلوا له صفاة، ولا قصفوا له قناة"، فقد كنَّتْ السيدة عائشة ل بهذا القول عن عدم تأثر أبيها بما يقوله عنه المغرضون، وأنَّه ينهج منهج الشدة في معالجة الأمور.

وتقنية الكناية قد عاونت السيدة عائشة ل في إقناع المتلقي بقوة أبيها وشجاعته المفرطة وقد أنتجت هذه الكناية قضية حجاجية جعلت المتلقي يسلم على الفور، فالمقدمة هي: أنَّ الصدِّيق ت لم يستطع أحد النيل منه ولو بالقدر اليسير، والنتيجة الحجاجية هي: أنَّ أباها كان شديد البأس، صاحب قوة وشكيمة، وأنَّه من أهم صفاته الشجاعة والإقدام، وأنَّه لا يخاف في الله لومة لائم.

ومما زاد في التأثير والإقناع أنَّ الأسلوب الكنائي قد جاء مقترنًا بالنفي المتكرر مرتين: مرة بـ " ما " ومرة بـ "لا" وذلك لتقوية الحجة، وكذا دخول النفي المتكرر على الفعل الماضي جعل المتلقي أكثر إقناعًا بأنَّهم لم يستطيعوا النيل منه، ولا التصدي له أبدًا، فبفضل الكناية قد تحققت الوظيفة الحجاجية المتمثلة في إذعان المتلقي وتسليمه بكل ما أرادته أم المؤمنين ل.

والكناية لون من ألوان التصوير، (يستعان به على رسم الصورة البيانية، فيمنح التعبير جمالًا، ويهب المعنى قوة ورسوخًا) ( )، وذلك لما تحمله الكناية من ستر للمعنى المراد مع خفاء لطيف يحبب للنفس عند استنباطه وظهوره.

وقد وظفت أم المؤمنين ل الكناية توظيفا حجاجيا في قولها: "ومضى على سيسائه"؛ حيث كنَّتْ عن سير أبي بكر الصدِّيق ت على النهج القويم المستقيم، وعدم التفاته إلى الصعاب والعقبات التي كانت يمكن أن تصده عن السير في طريقه، وقد كان للتصوير الكنائي الدور المهم في التأثير على المتلقي وإقناعه بهذا الأمر؛ إذ أسفر هذا التصوير عن مقدمة حجاجية فهمت من المنطوق القولي للعبارة، وهي: أنَّ أباها قد سار على النهج الذي رسمه له نبي الأمة، والنتيجة الحجاجية هي أنَّ الصدِّيق ت ظل متبعًا للرسول الله ﷺ اتباعًا صادقا، وقد كان مجاهدا مناصرا للدين بعد وفاته ، وسار على نهجه، ولم يخالفه أبدًا في أي أمر، والنتيجة ضمنية فهمت من مضمون الكلام وليس من نصه، وعلى أي حال فإنَّ الكناية كما أدت وظيفتها التأثيرية الإقناعية" تؤدي دورا في تصوير المعاني ونقلها على وجه أبلغ وأنسب للمقام، إذ هي تبرز المعاني المجردة في صورة محسوسة، فترسم المعاني في أشكال وصور تراها العين فلا تشك النفس في وقوعها ولا تماري في حدوثها، فهي ثوب ورداء تستر فيه المعاني التي يتحرج المتكلم من التصريح بها، كما أنها تحرك الفكر وتبعث النفس عن التأمل في المعنى

المباشر لظاهر الكلام، ثم المروق منه إلى المراد عن طريق العلائق والصلات بين ظاهر الكلام والمعنى الكنائي المراد.( )"

ويأتي التصوير الكنائي بدوره الإقناعي الحجاجي في قول أم المؤمنين ل:" وقيذ الجوانح"، فبفضل التصوير الكنائي قد أقنعت المتلقي بخشوع أبيها وخضوعه لله، فمن كثرة خشوعه وبكائه وجلًا من الله كأنه قد اعتل فؤاده، فبالكناية أتت بالحجة الدامغة، والبرهان الساطع؛ إذ أنتج التصوير الكنائي مقدمة فهمت من منطوق الكلام، وهي أنَّ أبا بكرت قد مرض قلبه وقد أثَّر ذلك على جوانحه وباقي جسده، والنتيجة الحجاجية التي استشفت من مضمون الكلام هي: أنَّ الصدِّيق ت كان رقيق القلب، حانيا عطوفًا، دائم الخشوع والخضوع لله ـ. ومما زاد في التأثير في المتلقي وإقناعه تَعَانُق المجاز المرسل مع التصوير الكنائي في لفظة "الجوانح"، فقد عبرت بالمحل وأرادت الحال فيه وهو القلب لعلاقة المحلية، مما يشعر بأنَّ الحزن والألم قد تعدى القلب الذي هو مكان الحزن إلى كيانه كله.

ويبرز الدور الإقناعي للكناية في قول أم المؤمنين ل:" وأرح الحق على أهله"، فقد كنَّتْ بهذا القول عن رد الزكاة إلى أهلها، وقد لعبت هذه الكناية دورًا حجاجيًا مهمًا في إقناع المخاطبين بدور أبيها الفاعل في عودة ركن مهم من أركان الإسلام وهو الزكاة، فقد امتنع بعض المسلمين عن أداء الزكاة بعد وفاة الرسول ﷺ، وقد حاربهم الصدِّيق، ولم يوقف هذه الحرب إلا بعد استسلامهم ودفعهم أموال الزكاة لمستحقيها، وقد اختصرت الكناية الأيام والليالي التي حدثت فيها الحرب، وقد طوتها طيا، والسر في الإقناع بالكناية أنَّها تعطي الحقيقة مصحوبة بدليلها، فالمقدمة الحجاجية التي أنتجها التصوير الكنائي، والتي فهمت من منطوق الكلام أنَّ الصدِّيق قد أعاد الزكاة إلى الإسلام والمسلمين، والنتيجة الحجاجية التي استشعرت من مضمون العبارة التصويرية هي: أنَّ أبا بكرت قد بذل جهدًا كبيرًا وحارب المرتدين الذين رفضوا دفع الزكاة حتى يعودوا إلى صوابهم، وبذل الغالي والنفيس من أجل تحقيق ذلك، مما يزيد في الإقناع بأنَّ أبا بكر الصدِّيق ت لم يرد من الدنيا شيئا، وأنَّه قد سخر حياته كلها للإسلام والمسلمين.

والذي ساعد على تحقيق التأثير والإقناع هو التصوير الكنائي؛ وذلك لأنَّ الكناية: "فيها إقناع للنفس، وإقناع للعقل، ودعم للكلام بالحجة والبرهان، وفيها تعبير عن المعاني المستهجنة بألفاظ مستساغة، وعبارات مرضية، لا تشمئز منها النفوس ولا تعافها الآذان.( )"

وتتضح الكناية بدورها الإقناعي في قول أم المؤمنين ل: "قبض رسول الله ﷺ بين سحري ونحري"، فهذا القول كناية عن علاقتها الوثيقة برسول الله ، وأنَّها كانت ترتبط به ارتباطًا قويًا شديدًا، وقد اتخذت السيدة عائشة ل من هذه الكناية وسيلة تأثيرية لتقنع المخاطب بالحب الشديد والعلاقة الوطيدة بينها وبين رسول الله ﷺ وليس أدل على هذا من أنَّه مات وهو في بيتها، وكان بين سحرها ونحرها، وفي أحضانها، وأن آخر لحظات حياته قد قضاها عندها، وقد ذكر ﷺ: «فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ، كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ.( )«

فالتصوير الكنائي قدم الحجة الدامغة، والدليل الساطع، والبرهان القاطع على ما ادعت؛ إذ أنتج قضية حجاجية إقناعية مقدمتها فهمت من المنطوق القولي للنص، وهي: أن رسول الله ﷺ قد مات في بيت السيدة عائشة ل وفي أحضانها، والنتيجة الحجاجية التي لم يُنْطَق بها في النص هي: ارتباطها الشديد برسول الله ﷺ، وتعلقه بها، وحبه القوي لها.

فالكناية لا تقل إقناعًا عن سائر الأساليب البيانية الأخرى؛ إذ هي " من أروع الفنون البيانية وأرقى الطرق البلاغية التي يعبر بها المتكلم عن المعنى الذي يريده تعبيرا موجزا هادفا لطيفا، يخفي وراء ظلاله أهدافا ولطائف يريدها ويقصدها.( )"

وتأتي الكناية بدورها الحجاجي الإقناعي في قولها ل:" وخلصني من كل بضع"، فقد كَنَّتْ بهذا القول عن عدم زواجها من غير رسول الله ، وهذا التصوير قد أقنعت به المتلقي بأنها هي البكر الوحيدة التي تزوجها رسول الله ﷺ، وأنه ﷺ لم يتزوج غيرها بهذه الميزة، فالكناية أتت بالمعنى مصحوبًا بالدليل والبرهان.

إذ أنتج التصوير الكنائي قضية حجاجية مقدمتها مفهومة من المنطوق القولي للعبارة، وهي: أنَّ أم المؤمنين ل لم تتزوج أحدا قبل رسول الله ﷺ، ولم يمسسها أحد، والنتيجة هي: أنَّ السيدة عائشة ل مميزة من بين زوجات رسول الله ﷺ؛ إذ هي البكر الوحيدة التي تزوجها رسول الله ﷺ، وبهذه الكناية قد تأثر المخاطبون بفكرتها، وقد اقتنع المتلقي الحصيف على الفور وسلم بما أرادت.

وتتضح الكناية بدورها الإقناعي في قول أم المؤمنين ل: "وبي ميّز مؤمنكم من منفاقكم"، فهذا القول كناية عن تميّز أم المؤمنين لعلى غيرها، وهذه الكناية كانت وسيلتها لإقناع المتلقي بأنَّها مميزة على غيرها من المسلمين، وأنَّ الله قد أظهر المؤمن والمنافق بسببها، وفيه إشارة إلى حادثة الإفك، فهذه الحادثة ميز بها المؤمن من المنافق، وقد تآزرت الكناية مع الطباق في إبراز الخصوصية التي اختصت بها لتضع نفسها في موضع الفخر التي ميزها الله بها.

وقد أسفر التصوير عن مقدمة حجاجية فُهمت من منطوق الكلام، وهي أنَّ أم المؤمنين ل كانت سببا في تمييز المؤمن من المنافق، والنتيجة الحجاجية التي أنتجتها الكناية هي: فضل

أم المؤمنين ل وتميزها، وإيجابيتها الواضحة؛ حيث إنها أخذت من حادثة الإفك إيجابياتها التي منها أنها كانت سببًا في تمييز المؤمن من المنافق، وهذه النتيجة قد فُهمت من المنطوق غير القولي للعبارة، وبهذا تكون الكناية قد قدمت الحجة والدليل للمتلقي.

وتلعب تقنية الكناية دورًا إقناعيًا أيضًا في قول أم المؤمنين ل: "وأنتم يومئذ جحظ العيون"، فهذا القول كناية عن دهشتهم وتعجبهم، وكأنهم ينظرون في دهشة منتظرون وثوب الأعداء عليهم.

والتصوير الكنائي كان سبيل أم المؤمنين ل لإقناع المتلقين بموقفهم الغريب، وذلك عن طريق المقارنة بين موقف أبي بكر الذي وقف ذابًا مدافعًا ضد هؤلاء المرتدين، وموقفهم وهم يقفون متفرجين متخاذلين، فقد استطاعت الإقناع بقوة إيمان أبي بكرت وشدة شجاعته.

وإقناعية الكناية هنا تأتي من أنها قدمت قضية حجاجية، وكأنها قالت: فبما أنكم كنتم تقفون مكتوفي الأيدي مندهشين، ولم تفعلوا شيئًا في وقت الشدة، فأنتم ضعفاء عاجزون، وأبي شجاع قوي الإيمان؛ حيث إنه واجه أعداء الدين بمفرده دون حاجة للمساعدة منكم، والقضية الحجاجية جعلت المتلقي يتأثر، ثم يقتنع.

وتكشف أم المؤمنين عن دور الكناية في الإقناع والتأثير أيضًا، وذلك من خلال قولها: "وأطفأ ما يحش يهود"، فقد كنَّتْ عن أن الصدِّيق قد أطفأ نيران الفتنة والحرب التي أشعلها اليهود، وهذا التصوير الكنائي قد أقنعت به السيدة عائشة ل المتلقي بأن اليهود لم يتوقفوا عن كيدهم للإسلام وتدبير الشر

لأهله، كما أقنعتهم كذلك بأن أبا بكر تلم يدخر وسعًا في محاربة كل أعداء الدين والنيل منهم مهما كلفه الأمر من تضحيات، فالمقدمة الحجاجية التي أنتجها التصوير الكنائي فُهمت من منطوق الكلام، وهي: أن الصدِّيق ت قد أطفأ نيران الفتنة والحرب التي كانت تشعلها اليهود، والنتيجة الحجاجية الإقناعية التي استطاعت أم المؤمنين ل إيصالها للمتلقين هي: يقظة أبي بكرت الدائمة وترقبه للخطر، وأنَّ للصدِّيق الفضل الكبير في إخماد نار الفتنة والقضاء على مدبري المكائد للإسلام والمسلمين، وعلى المسلمين أخذ الحذر والحيطة، ولم يأمنوا أبدًا لليهود.

ومما زاد في التأثير والإقناع: تعبير السيدة عائشة ل بالفعل المضارع "يحش"؛ إذ إنَّها استحضرت بهذا الفعل ما كان يفعله اليهود من تدبير المكائد، وإشعال الفتن، فجعلت المتلقي وكأنَّه يرى هذه الأشياء أمامه، فيكره اليهود وصنيعهم، ويبغضهم ثم يقتنع ويسلم.

ونرى الحجاج بتأثيره وإقناعيته للكناية في قولها:" بعيد ما بين اللابتين" ، فهذا القول كناية عن سعة صدر الفاروق ت، وقد أثرت بهذا التصوير في نفس المتلقي وأقنعته بأنَّ الفاروق عمرت كان حليما جلدًا قويًا، يتسع صدره وعقله وقلبه للجميع، فالمقدمة الحجاجية التي أسفر عنها التصوير الكنائي والتي فهمت من منطوق الكلام أنَّ عمر بن الخطاب ت كان واسع الصدر شديد الحلم، والنتيجة الحجاجية المفهومة من المنطوق غير القولي للعبارة هي: أنَّ الفاروق عمرت قد تحمل من الإيذاء ما لم تتحمله الجبال الراسيات، وكأنَّه الميراث الذي تركه الرسول ﷺ للصحابة فاقتدوا به، وساروا على نهجه، وأنَّه جلد صبور قوي مثابر، فيجب على كل إنسان أنْ يتمثل بالفاروق ت في حلمه وتجلده ومثابرته في أداء ما يسند إليه من أمور تهم شؤون المسلمين، فالمقدمة والنتيجة كانا طريقًا سهلًا لإقناع المتلقي وحصول التسليم والقبول منه.

ويبرز الدور الإقناعي الحجاجي للكناية في قول أم المؤمنين ل:" يقظان الليل في نصرة الإسلام "فقد كنَّتْ بهذا القول عن التعب والجهد الذي كان يبذله عمر بن الخطاب ت في سبيل الرعية، فقد استغلت أم المؤمنين ل طاقات الكناية في هذا النص لتؤثر في المتلقين وتقنعهم بأنَّ عمر بن الخطاب ت كان يرعى أمته التي أُسْتُخلِف عليها حق الرعاية، وكان يهتم بها اهتمامًا بالغًا، وكان ناصرا للإسلام والمسلمين، وقد فتحت في عهده الفتوحات الكثيرة، فالمقدمة الحجاجية التي فُهمت من منطوق الكلام هي: أنَّ الفاروق لم ينم ليلًا كاملًا كما ينام أحد من الرعية، والنتيجة الحجاجية الإقناعية هي: أنَّ الفاروق عمرت لم يأل جهدا في سبيل الإسلام والمسلمين، حريصا متفانيا، باذلا وقته وجهده وصحته من أجل الإسلام مقتديا برسول الله، وقد كان همه الأكبر نصرة الدين والارتقاء بهذا الدين، وأنَّ هذا المجهود لم يضع هباءً، وإنَّما برزت آثاره على الإسلام والمسلمين.

ويزيد في الإقناع: " إضافتها ل "يقظان" إلى "الليل" حيث تصور هذه الإضافة المجهود الشاق الذي كان يبذله عمر بن الخطاب ت وتوضح إلى أي مدى كان كثير التضحيات من أجل الإسلام، فقد كان يضحي براحته ومتعته، ففي الوقت الذي كان الناس يرتاحون فيه ويستمتعون كان هو ت يقظًا يفكر في حالهم ليدبر أحوالهم ويرعى شؤونهم."

وبالقضية الحجاجية التي قدمتها أم المؤمنين ل جعلت المخاطبين يسلمون ويقبلون ما أرادت من أفكار.

ونلحظ الأثر الحجاجي الإقناعي للتصوير الكنائي في قول أم المؤمنين ل: "خشاش المراة والمخبرة"، فقد كنَّتْل بهذا القول عن أن ظاهر الفاروق عمرت مثل باطنه.

وبهذا التصوير قد أقنعت المتلقين بأنَّ عمر بن الخطاب ت لا يتصف بصفات أهل اللؤم؛ فلا يحمل العداء لأحد، فالمقدمة الحجاجية التي أنتجها التصوير وهي التي فُهمت من منطوق الكلام هي أنَّ عمرت ظاهره مثل باطنه، والنتيجة الحجاجية هي: أنَّه واضح وليس مرائيا ولا منافقا، وكان دائمًا خائفًا وجلًا من الله ـ.

والقضية الحجاجية التي أتت بها السيدة عائشة ل قد ساعدتها في إقناع المتلقي والتأثير عليه، وحصول التسليم والقبول منه.

إذن فالكناية من الأساليب البلاغية التي تقوم بالدور المهم في الحجاج؛ إذ تكسبه طاقة حجاجية، فتعيد وتغير كثيرا من الحقائق في نفس المتلقي؛ لتثبت وتؤكد المعاني في نفس المخاطب، ليقتنع بها، فتدعو إلى إعمال العقل والذهن، فتقوم بالوظيفة الحجاجية، وهي استمالة المتلقي والتأثير عليه.

رابعًا: المجاز المرسل ( ): ودوره الإقناعي في كلام أم المؤمنين ل"

"إنَّ للمجاز دور كبير في الحجاج والإقناع، لأنَّه من جهة أولى يؤدي وظيفة استدلالية، ويتوجه إلى عقل المخاطب، ومن جهة ثانية يؤدي وظيفة نفسية، ويستهدف التأثير في نفسية المخاطب.( )"

والمجاز المرسل من الوسائل البيانية المهمة التي توضح المعنى وتقربه للأفهام؛ حيث يخرج الغامض إلى الواضح، ولقد شغفتْ العرب باستعمال المجاز "وتعده من مفاخر كلامها فإنَّه دليل الفصاحة، ورأس البلاغة، وبه بانت لغتها عن سائر اللغات. ( )"

ويعتبر المجاز من الوظائف المرتبطة بالقول نفسه وله خاصية التزيين والتكثيف، حيث يقوم بتزيين القول وتجميله بالصور اللامعة والجاذبة، ووظيفته الحجاجية تكمن في تكثيف المعنى، "انطلاقا من بعض الصور المجازية لكي يشكل قوة في المعنى والبيان، حتى يتسنى للمتكلم من خلال هذه القوة تمرير مواقفه.( )"

والمجاز المرسل له أهميته في الاستمالة والتأثير، ثم الإقناع؛ حيث إنَّ علاقات المجاز المرسل تنبئ عن دور منطقي يقوم به المتلقي من أجل الوصول إلى العلاقة المقصودة؛ مما يسهم في رسم خط تواصلي فيما بين المخاطبين والخطاب، يقصدون من ورائه مشاركة فاعلة للمخاطبين في إكمال البعد الضمني للخطاب.

ويتضح الدور الحجاجي للمجاز المرسل في قول أم المؤمنين ل: "والله لا تعطوه الأيدي"، حيث أطلقت "الأيد"، وأرادت الأشخاص أنفسهم على سبيل المجاز المرسل لعلاقة الجزئية، وقد أتت بالمجاز المرسل لتقنع المتلقين بارتفاع شأن أبيها وبعد منزلته، والمجاز المرسل هنا اعتمد في الإقناع على تسليط الضوء على العنصر الفاعل في المحاجة، وهو كلمة: " الأيدي"، وقد حقق المجاز المرسل طاقة إقناعية؛ إذ ينقل المجاز المرسل من الجزء إلى الكل، وترتب على هذا التسليط قضية حجاجية جعلت المتلقي يسلم بالأمر، ويقبله، ومقدمة هذه القضية التي فُهمت من المنطوق القولي للمجاز هي: أن أباها لا يمكن أن تتناوله الأيدي، أو تتهمه بأي نقص، والنتيجة الحجاجية التي فُهمت من المنطوق غير القولي هي: أنَّ أبا بكرت كان ولا يزال عالي المقام طيب السيرة والمسيرة؛ وفي اختيار جزء الأيدي دون غيره زيادة في الإقناع؛ ذلك لأنَّ الأيدي هي أكثر الأعضاء عملا، وكذا

التعبير بالفعل المضارع المنفي "تعطوه"، يزيد من إقناع المخاطبين بثبوت هذا الحكم واستمراره، وهو عدم استطاعة أحد النيل من الصدِّيق ت في حياته وبعد مماته.

لهذا كله كان المجاز المرسل سبيلًا واضحًا للإقناع والقبول، وذلك لأن "الأساس النفسي للمجاز هو تداعي المعاني إذ أنَّ هذا المجاز يسوغه التلازم الذهني، فالسبب والمسبب متلازمان ذهنا وزمانا ومكانا، وكذلك الكل والجزء والحال والمحل.( )"

ويأتي المجاز بدوره الإقناعي الحجاجي في قول السيدة عائشة ل: "خلصني من كل بضع"، فقد أطلقت الجزء وهو البضع، وأرادت الكل وهو الزواج، وقد أقنعت أم المؤمنين ل المتلقين بهذا المجاز المرسل أنها الوحيدة من بين نساء النبي ﷺ التي تزوجها بكرا، وكانت تتفاخر بذلك على سائر

نسائه ﷺ، وقد أنتج هذا التصوير مقدمة حجاجية مفهومة من المنطوق غير القولي للنص، وهي: أنها

لم تتزوج أحدا قبل رسول الله ﷺ، والنتيجة الحجاجية الإقناعية أنها البكر الوحيدة من بين نساء رسول

الله ﷺ، وأن سيدنا محمدا ﷺ قد انفرد بها، وقد فُهمت هذه المقدمة من المنطوق غير القولي للنص، والمقدمة والنتيجة قد كونا قضية حجاجية آزرت السيدة عائشة ل في الإقناع والقبول، ويعد المجاز من الأساليب التي تتسم بالقدر الرفيع والمستوى العالي من البيان؛ وذلك للأثر الكبير الذي يحدثه المجاز في نفس المتلقي؛ إذ يكسب المجاز الجملة الحجاجية زخما من المعاني، وذلك عن طريق تكثير المعاني وزيادتها.

ويلعب المجاز المرسل دورًا حجاجيًا إقناعيًا في قول أم المؤمنين ل: "فنفخ الكفرة ودنخها" ، ففي هذا القول مجاز مرسل ؛ حيث أطلقت الحال وأرادت المحل لعلاقة الحالية، وقد استغلت السيدة

عائشة ل الطاقات الإقناعية للمجاز المرسل لتقنع المتلقي بأنَّ الفاروق عمرت لم يفتح البلاد وفقط، بل فتح وغزى قلوب الكفار بعدله وإنسانيته وإنصافه المنقطع النظير، كما أقنعت كذلك بسيطرة المسلمين على بلاد الكفر واستحواذهم عليها، والمقدمة التي أنتجها المجاز، وفُهمت من منطوق الكلام وهي أنَّ الفاروق تقد فُتحت على يديه البلدان وأسلم أصحاب هذه البلدان، والنتيجة الحجاجية التي فُهمت من المنطوق غير القولي هي فضل عمر بن الخطاب ت في إذلال الكفرة وانتكاستهم وإخضاعهم، وأنَّ الإسلام قد عادت له قوته وسيطرته كما كان في عهد رسول الله ﷺ، والقضية الحجاجية التي أتت بها أم المؤمنين ل كانت عاملًا قويًا من عوامل الإقناع والتأثير في هذا النص.

المبحث الثالث

البلاغة الحجاجية للفنون البديعية ودورها الإقناعي

في كلام أم المؤمنين ل.

يرى أحد المعاصرين: الشحات أبو ستيت بعد دراسته المنهجية لألوان البديع: (أنَّ فنون البديع إذا جاءت غير متكلفة وكان لها أثر في الأسلوب يقتضيه المقام، فإنَّها تكون محسنًا ذاتيًا ولا فرق بينها وبين الصور البلاغية الأخرى التي تدخل في علمي المعاني والبيان)( ) ؛ فضرورة حضور البديع في الخطب أمر لا ينكره عاقل ولا يقلل من شأنه إلا جاهل.

والبديع له دور مهم في الاستمالة والتأثير "لا على سبيل زخرفة الخطاب، ولكن بهدف الإقناع والبلوغ بالأثر مبلغه الأبعد، حتى لو تخيل الناس غير ذلك، فأساليب البيان مثلا كالمقابلة والجناس والطباق وغيرها، ليست اصطناعا للتحسين والبديع وإنما هي أصلا أساليب للإبلاغ والتبليغ.( )"

أولًا: البلاغة الحجاجية للمحسنات المعنوية ودورها الإقناعي في كلام أم المؤمنين ل.

الطباق( )ودوره الإقناعي في كلام أم المؤمنين ل

"الطباق من الفنون البديعية القادرة على إبراز الأفكار والعواطف بضدها وتجسيد التناقض بينهما، ويساهم في توضيح الصورة للمتلقي، ويقوي الصلة بين الألفاظ والمعاني ويميز الألفاظ المتشابكة مما يجعل المتلقي يميل ويصغي إلى الكلام المتطابق.( )"

وتكمن وظيفة الطباق الإقناعية في توضيح المعنى حيث يدعم المعنى بقوة الوضوح، ويجعل الدلالة واضحة مقنعة، فالطباق وسيلة حجاجية، يوضح وقوع المعنى في ذهن السامع موقعًا يجعله يقتنع، ويتحقق هذا حين يجمع الطباق بين معنيين متقابلين؛ إذ إنَّ للمقابلة قوتها الحجاجية التي تجعل المتلقي على درجة كبيرة من الاقتناع؛ لأنَّ المقابلة تقيم له ما يقابل ذلك الكلام، وهذا مستوى حجاجي تقيمه البلاغة في بديعها.

ومن التراكيب التي ظهر فيها خاصية الطباق الإقناعية في كلام أم المؤمنين ل:

قولها: " كَذَبتْ الظنونُ، أَنْجَحَ واللهِ إذْ أَكْدَيْتُم" ، فالطباق واضح بين قولها "أَنْجَحَ" وقولها "أَكْدَيْتُم"، فالسيدة عائشة ل تحاول أن تقنع المتلقي بنجاح أبيها، وتطلعه على المفارقة بين فعل الصديق ونجاحه وبين فعلهم وفشلهم، فالطباق له أهمية في عملية الإقناع والتأثير؛ إذ أنتج مقدمة حجاجية فُهمت من منطوق الكلام هي: أنَّ الصدِّيق ت قد نجح فيما قدم، أما هم فقد خابوا وخسروا، والنتيجة الحجاجية هي: فضل أبي بكرت وتفوقه عليهم، وأنَّه كان له السبق في كل مضمار خاضه في سبيل الله، وخيبة أملهم وفشلهم، والطباق هو عامل الإقناع في هذه العبارة.

ويتضح الطباق بدوره الحجاجي الإقناعي في قولها: "فتى قريش ناشئا، وكهفها كهلا"، فقد طابقت بين قولها: " فتى" و"كهل"، وهذا الطباق قد أقنعت به السيدة عائشة ل المتلقين بدوام فضل أبيها، واستمرار نفعه، فمنذ أن كان شابًا وهو يضحي من أجل الإسلام والمسلمين حتى صار كهلًا، ومع ذلك فلم يتوقف خيره أبدًا، مع أنَّ الفرق بين الشباب والكهولة شديد، والهوة بينهما بعيدة، لكنَّ الأشياء المختلفة يعمل جمال هذا اللون البديعي على تآلفها وتآزرها مع غيرها، هذا التآلف هو أساس تكوين الإبداع القادر على التعبير، فالطباق هنا له أهميته في عملية التأثير والإقناع.

فقد أسفر عن قضية حجاجية مقدمتها هي: أنَّ أبا بكرت قد دام فضله واستمر نفعه طيلة حياته، وهذه المقدمة قد فُهمت من المنطوق القولي للنص الحجاجي، والنتيجة التي فُهمت من المنطوق غير القولي هي: أنَّ أبا بكرت كان صاحب أثر عظيم في الأمة، وقد استمر هذا الأثر، وبقي بعد موته في الإسلام والمسلمين.

والطباق هو الذي قام بإقناع المخاطبين في هذه العبارة؛ لما له من قوة في جلب انتباه المتلقي واستمالته إلى الخطاب، فالمحسن البديعي له قوة تأثيرية لما يقال، وقيمة توضيحية للخطاب، مما جعل منه ظاهرة بلاغية حجاجية دون تكلف وصنعة.

وقد وفقت أم المؤمنين ل في توظيف الطباق توظيفا حجاجيا في قولها: "يحي فيه ما أمات المبطلون" ، فقد طابقت بين قولها: "يحي" وقولها: "أمات" ، وقد أقنعت السيدة عائشة ل بهذا المحسن المتلقين بدور الصدِّيق في إحياء هذا الدين، وهداية المرتدين وعودتهم إلى الإسلام، فقد هدم أباطيلهم وقضى عليها من جذورها، فالطباق هنا كان وسيلة أم المؤمنين ل، لإنتاج مقدمة حجاجية هي: أنَّ أبا بكرت قد قضى على هؤلاء المرجفين المنافقين وأعاد للإسلام سطوته وقوته، فالمقدمة فُهمت من المنطوق القولي للعبارة المستشهد بها، وأما النتيجة الحجاجية فقد فُهمت من المنطوق غير القولي، وهي أنَّ الصدِّيق أعاد للإسلام قوته، وأمات أهل الشرك وحاربهم.

وقد زاد في الإقناع بالمعنى المراد التعبير بالفعل المضارع "يحي" الذي يشعر بتجديد الإحياء واستمراره، فقد كان للطباق أهميته في التأثير والإقناع.

ويبرز الدور الحجاجي الإقناعي للطباق في قولها: "بي ميز المؤمن والمنافق" ، فقد طابقت بين قولها: "منافق" وقولها: "مؤمن"، وقد حاولت أم المؤمنين ل إقناع المتلقي بهذا الطباق بالمفارقة الشديدة بين النفاق والإيمان، والهوة البعيدة بينهما، وأنَّهما ليسا شيئًا واحدًا في القلب، فالبون بينهما شاسع والفرق بينهما شديد، وهما لا يجتمعان في قلب مسلم أبدًا، كما أقنعت ل المتلقي كذلك بالخصوصية التي اختصت بها، فهي في موضع فخر وميزة.

وقد أسفر الطباق عن قضية حجاجية، مقدمتها فُهمت من الطباق، وهي: أنَّه بسبب

أم المؤمنين ل قد عُرف المنافق من المؤمن، والنتيجة الحجاجية هي: فضل أم المؤمنين ل، وتميزها عن غيرها من المسلمين، والطباق بما أنتجه من قضية حجاجية قد أقنع المتلقي وجعله يسلم ويقبل بالفكرة.

وتطالعنا أم المؤمنين ل بأثر إقناعي فاعل آخر للطباق، وذلك من خلال قولها ل: "أعطن الوارد"، "وأورد الصادر" طباق، فقد طابقت بين قولها: " الوارد" وقولها: "الصادر" وبهذا الطباق قد أثرت السيدة عائشة ل في المخاطبين، وأقنعتهم باهتمام أبي بكرت بكل أطياف المجتمع الإسلامي: العالِم منهم والجاهل، والذي يحتاج منهم إلى نصح والذي لا يحتاج، فأبو بكرت لم يهتم بفئة دون فئة، وإنَّما كان الاهتمام بالجميع الصادر والوارد، فالمقدمة الحجاجية التي أنتجها الطباق، والتي فُهمت من منطوق الكلام، وهي أنَّ أبا بكرت كان يهتم بالجميع دون أي تفرقة، والنتيجة الحجاجية هي: أنَّ الصدِّيق كان حاملًا لهَمّ المسلمين جميعهم، وهذا الهَم جعله لم يرَ الراحة طيلة حياته، فقد بذل الغالي والنفيس في سبيل استقرار الإسلام والمسلمين، وتمكين العقيدة السليمة في نفوس المسلمين.

ومن خلال القضية الحجاجية التي قدمتها السيدة عائشة ل ظهر دور الطباق الاستمالي وأثره الإقناعي.

ويبرز الطباق بدوره الحجاجي الإقناعي في قول أم المؤمنين ل "فمَنْ ردنَا عنه بِحقٍ قَبلنَاه ومنْ ردنَا عَنه بباطلٍ قاتلناه فرُبما ظَهرَ الظالمُ على المَظْلومِ"، فبين قولها: "ظالم" وقولها: "مظلوم" طباق، وهذا الطباق كان وسيلة حجاجية لأم المؤمنين ل، لإقناع المتلقي بالهوة الشديدة والمفارقة البعيدة بين الظالم والمظلوم، فالظالم إنسان صاحب قلب قاس لا يعرف الشفقة ولا الرحمة، أمّا المظلوم فصاحب قلب مكلوم، لكنّه مطمئن وواثق بمؤازرة الله له، فالمقدمة الحجاجية الإقناعية التي فُهمت من منطوق الكلام هي: أنه أحيانا يكون للظالم غلبة، ويكون لديه الحق ولكن هذا لا يدوم طويلًا، والنتيجة الحجاجية التي أرادت أن تصل للمتلقي هي: التعريض بمن ظلموا خليفة المسلمين عثمان ت.

ومما زاد في الإقناع وقوى الحجة التعبير باسم الفاعل "الظالم" حيث يستميل المخاطب نحو فكرة أنَّ صفة الظلم ثابتة راسخة في الظالم، فهو دائمًا يظلم ويتجبر.

المقابلة( ) في كلام أم المؤمنين ل

"تعد المقابلة من الأدوات الحجاجية التي يستثمرها الخطيب للتأثير، فتعطي المتلقي ما يحتمله من الخطاب حتى يتضح لديه، يختار ويميز ما يوافق قناعته، وهي تدخل ضمن الآليات الحجاجية التي يعمد إليها المتكلم في حجاجه.( )"

و"المقابلة وجه من وجوه البلاغة البرهانية البديعية التي تدعم طاقة القول الحجاجية، وتزيد في قدرته الإقناعية، ومن هنا تعد المقابلة من أهم الوسائل البلاغية للحجاج للاستمالة والتأثير، فهي تستميل وتؤثر بجمال استعمالها؛ وقوة علاقتها التقابلية على المتلقي.( )"

وتبرز قيمتها الإقناعية في اقتضاء المعنى لها حيث يورد المتلقي معنى ثم يؤتي بما ينافيه ليحبب المتلقي فيه أو ينفره منه، وذلك يسهم في إيضاح المعاني وتمييزها.

ونجد المقابلة بتأثيرها الإقناعي في قول أم المؤمنين ل: "فلقد كنت للدنيا مذلاً بإدبارك عنها وللآخرة معزاً بإقبالك عليها"، لقد لخصت المقابلة حياة أبي بكرت في هذه العبارة، وبهذه المقابلة قد أقنعت السيدة عائشة ل المتلقي بأنَّ أبا بكرت كان زاهدًا في الدنيا معرضًا عن حبها في حين أنَّه كان مقبلًا على الآخرة، راغبًا فيها، وقد أنتجت المقابلة قضية حجاجية كانت سبيلًا للإقناع، مقدمتها التي فُهمت من المنطوق القولي هي: أنَّ أبا بكرت كان مذلًا للدنيا معرضًا عنها، ومعزًا للآخرة راغبًا فيها، والنتيجة الحجاجية التي فُهمت من المنطوق غير القولي هي: زهد أبي بكرت في الدنيا، وأنه كان يراها حقيرة فانية، أمَّا الآخرة فكانت في نظره هي العظيمة الباقية التي تستحق الاهتمام والعمل لها.

لقد تجلت حجاجية المقابلة في إظهار هذه المفارقة، فشتان بين الأمرين، وهذا ما أرادت الصدِّيقة بنت الصدِّيق ب إيصاله للمخاطب، فقد أوفت المقابلة بالغرض المسوق له الكلام، فبينما كان الصدِّيق معرضا عن الدنيا بملذاتها وطيبها، كان مقبلا على الآخرة بنعيمها؛ لأن الدنيا وما فيها حقير فانٍ، وما عند الله خير وأبقى.

حسن التقسيم( ) ودوره الإقناعي في كلام أم المؤمنين ل

"للتقسيم بوصفه البديعي دور إقناعي مهم، وتأثير حجاجي فاعل في المتلقي؛ إذ إنَّه يساعد في تثبيت المعنى ويبعد عن المتلقي الملل، كما يساهم في تغيير الرؤية المتجسدة للمعنى في الذهن.

وتكمن حجاجية التقسيم في أنَّه يشعر المتلقي بحركية تسود النص توحي بمدى تمكن المنشئ، وتكشف عن قدراته اللغوية والخطابية.( )"

لجأت أم المؤمنين ل إلى تقنية التقسيم إيمانًا منها بدوره الحجاجي الإقناعي، ومن حسن التقسيم قولها: "فأروني مَاذَا تَرتَأون وأيّ يومَي أبَي تَنْقمُون أيوم إقَّامَته إذْ عَدَلَ فِيكم أو يَوَم ظفره إذ نَظرَ لَكُم"، فقد قسَّمت السيدة عائشة ل المعنى تقسيمًا حسنًا؛ لتقنع المخاطب بفكرتها، وهي أنَّ أباها كان رجلًا عظيما عادلًا يغيث الملهوف ويقف بجواره حتى تنتهي مشكلته وأزمته، فقسمت حال أبيها بين العدل بين

أفراد الرعية، وإغاثة الملهوف فيهم، والظفر والنصر، والذب عن الدين، وذلك عن طريق ذكر متعدد، أولا ثم ذكر ما يناسب كل واحد منها على التعيين.

وتآزُر حسن التقسيم مع الاستفهام قد زاد في إقناع هؤلاء القوم الذين كانوا يريدون أن ينقموا من أبيها بعدم المساس به وعدم إيذائه بالقول، وأنَّه من الواجب عليهم أن يحفظوا سيرته بعد وفاته لأنَّه لم يقدم لهم إلا كل جميل.

فحسن التقسيم أحدث أثرًا في المتلقي بما أنتجه من قضية حجاجية، مقدمتها فهمت من المنطوق القولي، وهي: أن أبي كان عادلًا مغيثًا للملهوف، ناصرًا للإسلام والمسلمين، والنتيجة الحجاجية التي فهمت من المنطوق غير القولي هي: لا يجوز لأحد أن يتناول أبي بأي كلمة، ولا يجوز لكم المساس به لا بالقول ولا التلميح.

والحجة التي وظفتها أم المؤمنين ل كانت قوية، ذات طاقة إقناعية كبيرة.

ثانيًا: البلاغة الحجاجية للمحسنات اللفظية ودورها الإقناعي في كلام أم المؤمنين ل

الجناس( ) ودوره الإقناعي في كلام أم المؤمنينل

يعد الجناس آلية من آليات الحجاج الإقناعي المهمة بما يضفي من تناسب صوتي يجذب الأسماع ويؤثر في النفوس ويستميلها، وبلاغة الجناس تتمثل في أنَّ السامع يتوهم أنَّ اللفظ مكرر وأنَّه لن يجنى منه سوى التطويل والسآمة، وحين يأتي اللفظ الثاني بمعناه المغاير لما سبقه تأخذه الدهشة لتلك المفاجأة غير المتوقعة، فاللفظ المشترك إذا حمل على معنى ثم جاء والمراد به معنى آخر كان للنفس تشوق إليه وتطلع، وعندئذ يقع منها أحسن موقع، وفي ذلك يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني: "تراه قد أعد عليك اللفظة كأنَّه يخدعك عن الفائدة وقد أعطاها، ويوهمك كأنه لم يزدك وقد أحسن الزيادة ووفاها.( )"

وقد وظفت أم المؤمنين ل الجناس في كلامها توظيفًا حجاجيًا؛ لتحقق أثرً استماليًا، وغاية إقناعية، وذلك من خلال قولها: "فتى قريش ناشئا وكهفها كهلا"، فقد جانست بين قولها: "كهف" وقولها: "كهل"، وقد أرادت أم المؤمنين ل بهذا الجناس أن تقنع المتلقين بفضل أبيها على المسلمين، وأنَّه كان مهتمًا بهم طيلة حياته، وأنَّ الصدِّيق هو الذي كان يُلْجَأ إليه في الملمات.

وقد أدى الجناس دوره التأثيري الذي طلبه المعنى لأجله؛ إذ أسفر عن قضية حجاجية مقدمتها فهمت من المنطوق القولي للعبارة وهي: أنَّ أباهات كان دائم النفع، خادمًا لقومه في شبابه وكهولته، والنتيجة الحجاجية هي: أهمية الصدِّيق ت، ودوام فضله على المسلمين في مراحل حياته كلها.

والجناس قد أسهم بشكل واضح في التأثير والإقناع، فهو محسن لفظي يشد المتلقي، ويضعه أمام لفظة مكررة، تحمل معنى أكسبته لذة وإيقاعا، مما أنتج نغما موسيقيا، يجعل المتلقين يصغون للمعاني، فيتحقق التأثير، ثم الإقناع والتسليم والاعتراف بفضله في شبابه وكهولته.

وقد جاء الجناس في كلام أم المؤمنين ل عن طبع وكان عفو الخاطر، وقد قاد إليه المعنى، "فأثر في النفوس تأثير السحر ولعب بالأفهام لعب الريح بالهشيم، لما أحدثه من النغمة المؤثرة والموسيقى القوية التي طربت لها الأذن، وهشت لها النفس، فأقبلت على السماع من غير أن يداخلها ملل

أو يخالطها فتور، فتمكن المعنى في الأذهان، واستقر في الأفكار، وعز لدى العقول.( )"

وقد استعانت أم المؤمنين ل في تبليغ مرادها بتقنية الجناس، وذلك من خلال قولها: "قُبض رسول الله ﷺ بين سحري ونحري"، فقد جانست بين قولها: "سحري وقولها: "نحري"، فقد أقنعت المتلقي بهذا الجناس بقربها الشديد من رسول الله، وتعلقه ﷺ بها، فقد قبض رسول الله وهو بين أحضانها، فالمقدمة الحجاجية التي أنتجها الجناس فهمت من منطوق الكلام، وهي: أنَّ الرسول قد مات في بيتها، وهو في أحضانها، والنتيجة الحجاجية التي أرادت إقناع المتلقين بها هي: أنَّها هي الحبيبة المحببة له ﷺ والمميزة بين نسائه، فالجناس قد قام بدوره التأثيري، وقد ظهر أثره الإقناعي في النص؛ ذلك لكونه "حلية لفظية تكسب الكلام جرسا لذيذا وإيقاعا لطيفا، يجعل فيه من الموسيقى والنغم، ما يحمل الأذن على الإصغاء والارتياح( )"

وقد نبه الإمام عبد القاهر إلى دور الجناس الحجاجي الإقناعي حيث قال: "إنَّه ليس إعلامُك الشيءَ بغتةً غفلًا، مثْلَ إعلامِك له بعْدَ التنبيهِ عليه والتقدمةِ له، لأنَّ ذلك يَجْري مَجْرى تكريرِ الإعلام في التأكيد والإحكام.

ويتجلى الجناس بدوره الإقناعي في قول أم المؤمنين:" وشَرَدَ الشّركَ شذر مذر"، فقد جانست السيدة عائشة ل بين قولها: " شذر" وقولها: "مذر"، وقد أقنعت المتلقين بهذا الجناس بأنَّ أباها قد استطاع تفريق المشركين في كل مكان، وأبعدهم عن ديار المسلمين، ولم يكن هذا الإبعاد وذلك التفريق في اتجاه واحد، وإنَّما كان في اتجاهات مختلفة، مما يجعل تجمعهم مرة ثانية من الصعوبة بمكان، والذي زاد في الإقناع بهذا الأمر النغم الموسيقي الذي أحدثه الجناس بين الكلمتين "شذر – مذر"؛ إذ أنتج الجناس قضية حجاجية فُهمت من المنطوق القولي للعبارة، وهي: أنَّ أباها قد فرق بين المشركين وأبعدهم بعدًا

لا اجتماع بعده، والنتيجة الحجاجية هي: شدة بأس أبي بكرت وقوته، وحرصه الدائم على الإسلام والمسلمين.

فأم المؤمنين ل قد استطاعت أنْ تجعل المتلقين يصغون إلى ما تقول بحرص شديد، وتدرجهم في مسار حجاجي، وذلك من خلال القضية الحجاجية التي وظفت من أجلها الجناس؛ إذ المعنى الثاني من الكلمتين المتجانستين ينتج حركة حجاجية، وكأنَّه نوع من الاستدراج، وذلك لأنَّ الكلمة الثانية توهم المخاطب أنَّها هي الأولى، ويأتي عنصر المفاجأة فإذا بالثانية غير الأولى.

براعة الاستهلال( )ودوره الإقناعي في كلام أم المؤمنينل

براعة الاستهلال محسن لفظي يساهم في التأثير على المتلقي، ويجعل المتكلم قادرًا على إقناع المتلقين بسلاسة ويسر؛ لما يحمله من طاقات حجاجية إقناعية.

تتسم مقدمات خطب السيدة عائشة ببراعة الاستهلال، موزونة المعاني، دقيقة التعبير، دون إطالة أو تقصير، لجذب السامعين والقارئين لها بصورة مشوقة.

فكان دائمًا مطلع الخطبة في كلام أم المؤمنين يوحي بالعاطفة الصادقة التي يرتكز عليها التأثير والإقناع، فكانت تعبر في مطالع خطبها بعبارات وجمل تلقي آثارها في المتلقين والسامعين، بحيث تراعي اهتمامهم وتثير انتباههم لينتبهوا إلى ما سيأتي من كلام له تأثير.

ولا يمكن إغفال وظيفة هذه الافتتاحات الحجاجية، ودورها الإقناعي في عرض خطبها، ففي خطبة الدفاع عن أبيها تفتتحها بقولها: "أبي وما أبية، أبي ولا تعطوه الأيدي"، فقد ابتدأت الخطبة بكلمة (أبي) وكررتها مضافة إلى ياء المتكلم، يليها أسلوب الاستفهام، ثم أردفتها بالقسم مقرونا بالنفي، هذا الأسلوب قد مهد للحديث عن الصدِّيق وسوق الحجج والبراهين لدحض ما كان قد قيل عنه، فالافتتاح كان وثيق الصلة بموضوع الخطبة، لذا كان طريقًا جيدًا لإقناع المتلقي والتأثير فيه؛ فبراعة الاستهلال تهيئ للقارئ النظر في الكلام والتأمل فيه وتشد انتباهه وتجذبه لما في ذلك من قدرة المتحدث على الدخول في الموضوع بكل سلاسة، ولا يقدر على هذا الضرب إلا الفحول من العلماء الأفذاذ والخطباء.

وتبرز براعة الاستهلال بدورها الإقناعي في قول أم المؤمنين في بداية الخطبة الثانية: "نضر الله يا أبت وجهك، وشكر لك صالح سعيك"، فقد اختارت من الألفاظ التي تدل على البهجة والسرور، وكانت تبغي من وراء ذلك إقناع المتلقي بالسماع للخطبة، والتركيز فيها، وتقبل كلامها وأفكارها، و"وينبغي للمتكلم أن يجتنب في بدء كلامه المواجهة بما يسوء، أو بما يتطير به، أو بما يستكره لفظه أو معناه)").

وهذا ما فعلته السيدة عائشة؛ إذ تريد جذب انتباه المتلقي ولفت ذهنه لما تقول وتوجه، فبراعة الاستهلال من الأدوات المهمة في الحجاج؛ لأنَّه لا بد وأن يكون في استفتاح الكلام جذب للغرض الذي ستساق له الخطبة، فيستثير في نفس المتلقي الاستشراف إلى ما يريد أن يبلغه إياه من قضية، فبراعة الاستهلال تحقق الغاية الأساسية من مقدمات الخطبة، وهي استمالة ذهن المتلقي والاستحواذ على انتباهه، فهذا الدعاء الذي بدأت به يوحي بصدق وإيمان أم المؤمنين القوي، وأنَّ هذا الكلام الذي قيل خرج مخرج الصدق، مما ساهم في الإقناع بما تريد من معاني وأفكار.

ويبرز دور براعة الاستهلال الإقناعي كذلك في قول أم المؤمنين ل: " لا يتهمني إلا من عصى ربي"، فقد جاء مطلع الخطبة مناسبا لما أرادت أنْ تتحدث عنه، فهذا المحسن له دوره في التأثير على المتلقي وفيه إثارة لغريزة القارئ فالنفس تتشوق إلى كل ما يلفت الانتباه ويجذب الأذهان، وهذا الأسلوب حقق الغاية الأساسية من مقدمات، وهي استمالة ذهن المتلقي والاستحواذ على انتباهه، وقد ختمت الخطبة بالاستفهام بقولها: "فأروني ما ترتأون أنى يومي تنقمون؟ أيوم مقامه إذ عدل فيكم، أم يوم ظعنه إذ نظر لكم"، وهذا الختام يظهر براعة حسن الانتهاء ويربطها بالمقدمة، علها تحقق وظيفة حجاجية تملي على المخاطب ما يقتنع به، ويظل الكلام عالقا في ذهنه.

حسن الانتهاء( )ودوره الإقناعي في كلام أم المؤمنينل

حسن الانتهاء من آليات الحجاج المهمة، وله دوره في التأثير والإقناع.

فخاتمة الكلام أبقى في السمع، وألصق بالنفس لقرب العهد بها، إن حسنت حسن وإن قبحت قبح والأعمال بخواتمها.

ويتضح حسن الانتهاء بدوره الإقناعي في قول أم المؤمنين عائشة ل:

"فسلام الله عليك توديع غير قالية لحياتك ولا زارية على القضاة فيك". فكما بدأت كلامها بالدعاء لأبيها ت أنهته بالدعاء له فما أحسن المطلع، وما أحسن الانتهاء منه، فهي تخاطب أباها وكأنَّه حي بين

ظهرانيهم بأفعاله التي مجدت ذكره بعد مماته، وقد أقنعت السيدة عائشة ل بهذا المحسن المتلقين بدفاعها الشديد عنه بكل ما أوتيت من قوة بيان وفصاحة لسان، ومما زاد في الإقناع تعبيرها بـ "سلام الله" بدلًا من (تحية الله) وذلك لأنَّ "التحية أعم من السلام، وقد جعل حسن الانتهاء السيدة عائشة ل قادرة على استمالة المتلقي وجذب انتباهه؛ ليستمر على الاتصال الوثيق مع موضوع الخطبة.

السجع( ) ودوره الإقناعي في كلام أم المؤمنين ل

يعد السجع عنصرا حجاجيا يساهم بشكل كبير في إثارة عواطف المخاطب واستمالته، فهو يعمل من خلال ما يمنح المتلقي من موسيقى وإيقاع مطرب ومتناغم، على إثارة انفعالات المخاطب وإثارة عواطفه.

فالسجع يعطي نغمة موسيقية ترتاح لها الأذن، وتطرب لها النفس، فهو ينشط الذهن ويُنْصِّت الأذن وبخاصة إذا جاء عفو الخاطر مطبوعا غير متكلف.

وقد وظفت أم المؤمنين ل السجع المتوازي( ) الذي تتشرف إليه النفس توظيفا حجاجيا في قولها: "ويرأب شعبها، ويلم شعثها"، حيث اتفقت الفاصلتان وزنا وتقفية، وهذه الجمل القصيرة أسعفت أم المؤمنين ل في تأدية المعنى الذي استطاعت إيصاله في أقصر وقت، حتى تقنع المخاطب وتجذب انتباهه، وهو أنَّ الصدِّيق له فضائل كثيرة على الأمة، فقد جمع المسلمين بعد فرقتهم ولم شملهم وآلف بينهم، بعد تكالب أهل النفاق والمشركين على الإسلام.

فالسجع بما يضفيه من الموسيقى الجميلة النابعة من الإيقاع المتكرر الذي يحدثه التوافق والتآلف بين الألفاظ المسجوعة قد ساهم في إقناع المتلقي والتأثير فيه، وقد أشار إلى ذلك الإمام عبد القاهر قائلا:" وعلى الجملة فإنَّك لا تجد تجنيسا مقبولا ولا سجعا حسنا حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحوه وحتى تجده لا تبتغي به بدلا، ولا تجد عنه حولا( )"

ويأتي السجع المرصع( ) بدوره الحجاجي الإقناعي في قول أم المؤمنين ل:" فما فلوا له صفاه، ولا قصفوا له قناة" إذ اتفقت ألفاظ الفقرتين في الوزن والتقفية، وقد أنتج هذا السجع مقدمة حجاجية مفهومة من المنطوق وهي أنَّ هؤلاء المنافقين والمرجفين لم يستطيعوا أن يفلوا له صفاه، ولا يقصفوا له قناة، والنتيجة الحجاجية التي فهمت من المنطوق غير القولي وهي: شدة وقوة أبي بكرت، وشجاعته المفرطة، وقد أقنعت السيدة عائشة ل المتلقي بهذه القضية التي أنتجها الجناس بأن أبا بكرت كان صلبا قويا ذا عزم وشكيمة، شديد في الحق، ولا يخاف في الله لومة لائم.

وقد تآزرت الكناية مع السجع في إبراز المعنى والتأثير في نفوس المتلقين.

وقد وظفت أم المؤمنين ل السجع المرصع توظيفا حجاجيا مرة أخرى، وذلك من خلال قولها: "مرج عهده، وماج أهله" فقد جاءت الألفاظ متساوية في الفقرتين وزنا وتقفية، وقد لوحظ أنَّ السجع قد ساهم في إثارة عواطف المتلقين وإقناعهم عن طريق المقدمة الحجاجية المفهومة من منطوق الكلام وهي: أنَّه بعد وفاة الرسول ﷺ قد انتشرت الفوضى، وظهر الهرج والمرج، وقد ارتد كثير من المسلمين عن دينهم، والنتيجة الحجاجية التي فُهمت من المنطوق غير القولي هي: أنَّ الصدِّيق هو صاحب الفضل في استقرار هؤلاء القوم بعد الاضطراب والقلق الذي حدث لهم بعد وفاة رسول الله ﷺ.

وقد زاد في الإقناع أنَّ السيدة عائشة ل قد وضعت لفظي "مرج -ماج" في الموضع اللائق بهما ولو غيرت هاتين الكلمتين بغيرهما لما كان الإقناع والتسليم، والقضية الحجاجية التي أنتجها السجع أبرزت الدور الذي قام به الصدِّيق بعد وفاة رسول الله ﷺ، وأوضحت الخطر الذي ألمَّ بالإسلام والمسلمين، فاعتدال الأسجاع وتناسقها وائتلافها عمل على إثارة عواطف المخاطبين وترغيبهم في الكلام، وهذا هو الغاية المرجوة من الحجاج والإقناع.

وقد وُفقت أم المؤمنين – رضي الله عنها-في توظيف السجع المطرف [(( ))] توظيفًا حجاجيًا في قولها رضي الله عنها: "أنجح والله إذ أكديتم، وسبق إذ ونيتم"، فقد اختلفت الفاصلتان "أكديتم -ونيتم" وزنا واتفقا في الحرف الأخير، وقد أسفر هذا السجع عن مقدمة فُهمت من منطوق الكلام وهي: نجاح أبي بكرت في كل ما خطت له، وتقدمه وسبقه لأعداء الدين في كل أمر، وإخفاق من حاول النيل منه، وفشلهم وتأخرهم، والنتيجة الحجاجية التي فُهمت من المنطوق غير القولي للعبارة التي ورد فيها السجع هي: تفوق أبي بكرت وحصافته، وحسن تخطيطه وتصرفه.

والقضية الحجاجية التي أنتجها السجع جعلت المتلقي أشد إثارة وانتباها واستمالة، وكل من الإثارة والتشويق رافدان مهمان من روافد الحجاج، وبهذا تكون بلاغة الأسجاع وقصر الجمل قد ساهمت في استمالة العقول وعمل على تحقيق إقناع المتلقي وتسليمه.

ويتضح السجع المطرف بدوره الحجاجي الإقناعي في قول أم المؤمنين: " فحنت قسيها، وفوقت سهامها"، فقد اختلفت الفاصلتان " قسيها - سهامها" وزنًا واتفقتا قافيةً، وقد جاء السجع عفو الخاطر، وتطلبه المعنى واستدعاه، وأدى دوره التأثيري الإقناعي؛ إذ أنتج قضية حجاجية مقدمتها فُهمت من المنطوق القولي للعبارة، وهي: استعداد أعداء أبي بكر- رضي الله عنه- الاستعداد التام، وتهيئهم بشكل مناسب لمحاربة الصدِّيق، والنتيجة الحجاجية المفهومة من مضمون الكلام هي: أنَّ أبا بكر-رضي الله عنه- كانت تُكاد له المكائد، ومن المفترض أنه في خطر شديد، ومع هذا فإنَّهم لم يستطيعوا النيل منه، فكل محاولاتهم باءت بالفشل الذريع، والقضية الحجاجية التي أنتجها السجع كان لها الأثر الأكبر في تحقيق الإقناع؛ إذ إنَّ هذا المحسن بما أثاره من موسيقى عذبة قد لفت ذهن المتلقي، وجذب انتباهه وجعله أكثر تركيزًا.

ويلعب السجع المطرف كذلك دوره التأثيري الإقناعي في قول أم المؤمنين- رضي الله عنها:" أيوم مقامه إذ عدل فيكم – أم يوم ظعنه إذ نظر لكم"، فقد اختلفت الفاصلتان وزنًا واتفقتا في الحرف الأخير، وبهذا السجع قد حاولت السيدة عائشة ل إقناع المتلقين بفضل أبيها ت؛ إذ كان هذا المحسن عاملًا من عوامل التأثير والإقناع، فقد أنتج هذا السجع مقدمة حجاجية فُهمت من المنطوق القولي للنص، وهي: أنَّ أباهات قد أقام العدل فيهم، وانتصر على أعداء الله، والنتيجة الحجاجية هي: فضل أبيها على الأمة الإسلامية والمسلمين.

وقد حقق السجع المطرف في هذا المقام التأثير والاستمالة بما أثاره من نغم موسيقي، وهذا النوع من السجع يتميز ببلوغ طرف الحسن ونهايته بالنسبة إلى غيره، لأنَّه كغيره من السجع قد استدعاه المعنى وطلبه، ويمكن اعتبار الموسيقى رافدا من روافد الحجاج من جهة استيلاء ما وقع على النفوس وامتلاك الأنغام للأسماع وما كان أملك للسمع كان أفعل باللب والنفس.( ) "

الاقتباس( ) من القرآن الكريم ودوره الإقناعي في كلام أم المؤمنين ل

يُعد الاقتباس آلية مهمة من آليات الحجاج، فهو محسن لفظي يمنح الحجاج قوة ومصداقية خاصة إذا كان هذا الاقتباس من القرآن الكريم؛ ذلك لأنَّ وفرة الشواهد وتنوعها، واختلاف طرق استخدامها عمل يكسب الخطاب قوة حجاجية عالية ويضمن لقائله إصابة ما أراد من خطابه وهو التأثير في المتلقي لغاية إقناعهم بما يطرح عليهم.

وكانت السيدة عائشة ل تستخدم الاقتباس في معظم كلامها، فقد كانت تعمد إلى استلهامها واستدعائها طبقًا للمقتضى الحجاجي، وقد لجأت أم المؤمنين ل إلى الاقتباس من القرآن، وكان له الأثر الواضح في استمالة المتلقي، وإقناعه.

ومن ذلك اقتباسها لقوله تعالى:" سمحٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ١٥سجى سجحالبَقَرَةِ:

وبهذا الاقتباس قد استدعت حضور المعاني التي ورد النص فيها، فيتذكرها السامع، ويربط حالا بحال، فيستميل ويقتنع بما تريد، فقد جاءت السيدة عائشة ل بهذا الاقتباس لتذكر المتلقي بجزاء الاستهزاء والسخرية من الصالحين، فهي تحاول أن تقنع المتلقين بأن هؤلاء القوم الذين يسخرون ويستهزئون من الصدِّيق ت سينالون العقاب من رب العباد بسبب سخريتهم واستهزائهم هذا، فقد اتكأت أم المؤمنين ل على اقتباس هذه الآية لإقناع المتلقين بالكف عن الاستهزاء بأبيها والسخرية منه، والتعبير بصيغة المضارع يزيد في الإقناع بما أرادت.

ومن الاقتباس الذي حقق تأثيرًا استماليًا، ودورًا إقناعيًا في المتلقي قولها:" ودخل الناس في دين الله أفواجا" وكأنها تشير إلى قوله تعالى: وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ٢سجى النَّصۡر : ، وقد اقتبست السيدة عائشة ل هذه الآية لتثبت للمتلقي وتقنعه بأن القرآن هو المنبع الأصلي الذي تستقي منه الأحكام وهو النهج القويم الذي نسير عليه.

وقد كان الاقتباس وسيلة السيدة عائشة ل لتحقيق الغاية الإقناعية؛ إذ أنتج مقدمة حجاجية فُهمت من المنطوق القولي، وهي: أن الناس بعد حرب الردة قد عادو ودخلوا الإسلام أفواج وجماعات، والنتيجة الحجاجية التي فُهمت ضمنًا من النص هي: اتساع رقعة الدولة الإسلامية، وتحقق المجد والعزة للإسلام والمسلمين بسبب عدالة الصدِّيق وانتصاره للإسلام والمسلمين، وفي هذا الاقتباس دلالة على سعة محفوظها، وغزير اطلاعها، ومعرفتها بأسرار المعاني عند تقليب وجوهها المختلفة وربط الصلة في إحكام كلامها بالقرآن الكريم وتُوقِفنا السيدة عائشة ل على التأثير الاستمالي، والدور الحجاجي للاقتباس كذلك، وذلك من خلال قولها:" ثَانِيَ اثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ"، وقد اقتبست قولها هذا من قول الحق سبحانه وتعالى: ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِالتوبة ٤٠ : ، وقد اقتبست هذا النص القرآني لتقوية فكرتها وتأييد موقفها، فأرادت أن تثبت براءتها وبراءة أبيها ب مما اتهما به، فالمقدمة الحجاجية التي أنتجها الاقتباس فُهمت من منطوق الكلام، وهي: أنَّ الصدِّيق ت كان مرافقا لرسول الله ﷺ ولم يتركه وحيدًا في هجرته، والنتيجة الحجاجية فُهمت من المنطوق غير القولي للنص، وهي: حب الصدِّيق ت لرسول الله ﷺ وتقديره إياه، وتضحيته من أجل الإسلام والمسلمين، فاقتباسها من القرآن في هذا المقام قد ذكَّر المتلقي بدور أبيها في الهجرة، ومن هنا كان الاقتباس سبيلًا واضحًا للاستمالة ثم الإقناع.

ويطالعنا الاقتباس بدوره الإقناعي في قولها ب: نضر الله وجهك" وكأنَّها تشير إلى قول الحق سبحانه- سمحوُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢سجى سجحالقِيَامَة:

فالجملة خبرية لفظا إنشائية معنى ومعناها الدعاء له بنضارة الوجه يوم لقاء رب العالمين، وقد أرادت أنْ تقنع المخاطبين بأنَّ الصدِّيق من الذين بشروا بالجنة، فقد أنتج الاقتباس مقدمة حجاجية فُهمت من المنطوق القولي للنص، وهي: أنَّ أباها سيكون نضر الوجه يوم القيامة، والنتيجة التي فُهمت من المنطوق غير القولي هي: أنَّ أبا بكرت سيكون من المبشرين بالجنة، والقضية الحجاجية التي أثارها الاقتباس كانت هي الوسيلة الاستمالية لإقناع المتلقي واستدراجه للتسليم والقبول.

ويلعب الاقتباس دوره الحجاجي الإقناعي في قولها ل: "شكر الله سعيك"، وقد اقتبست قولها هذا من قول الحق ﷻ: سمحإِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمۡ جَزَآءٗ وَكَانَ سَعۡيُكُم مَّشۡكُورٗا ٢٢سجى سجدالإنسَان : ،

وقد اقتبست هذا القول لتقنع المتلقي بأنَّ شكر أبيها واجب على كل مسلم بسبب ما قدمه من تضحيات عظيمة من أجل الإسلام والمسلمين، فالمقدمة الحجاجية التي أسفر عنها الاقتباس فُهمت من منطوق الكلام، وهي: أنَّ الصدِّيق ت يجب شكره على كل ما قدم لأمة الإسلام من تضحيات، والنتيجة الحجاجية التي فُهمت من المنطوق غير القولي للنص هي: أنَّ أباها قد بذل في سبيل الدعوة الإسلامية أقصى ما في وسعه، ودافع عن الإسلام بكل ما أوتي من قوة ومال، وأنَّ الحق سبحانه سيعوضه في الآخرة.

والقضية الحجاجية التي أنتجها الاقتباس كانت هي مطية السيدة عائشة ل للوصول إلى التأثير في المتلقي واستمالته، ثم إقناعه وتسليمه.

الخاتمة:

لقد انتهيت بفضل الله من هذا البحث بعد أن قضيت معه وقت ليس باليسير، وبذلت فيه جهدًا ليس بالقليل، وقد توصلت من خلال هذا البحث إلى النتائج التالية:

(1 أنَّ الخطاب الإقناعي لا ينفصل عن البلاغة العربية، وأنَّه يرتبط ارتباطا وثيقا، وأنَّها آلية من آلياته المهمة.

(2 اعتمدت أم المؤمنين ل في كلامها على الحجج الواقعية؛ إذ إنَّ تأثير مثل هذه الحجج على المتلقين أكبر وأقوى، وذلك لأنها كانت تمثل صورا من الواقع المعاش.

(3 لم يكن خطاب السيدة عائشة ل في كلامها مجرد خطاب إخبارى وإنَّما كان خطابًا تأثيريًا تغييريًا، بحيث يجعل المتلقي مستجيبًا مسلمًا لها، قابلًا لكل أفكارها.

(4 معظم مقدمات القضايا الحجاجية التي أنتجتها البلاغة الحجاجية في كلام أم المؤمنين ل فُهمت من المنطوق القولي، أمّا النتائج فقد اُسْتَشفت من المنطوق غير القولي للنص.

(5 استطاعت السيدة عائشة أنْ توظف الآليات اللغوية والبلاغية في كلامها توظيفًا حجاجيًا دقيقًا يخدم الفكرة التي أرادت توضيحها، والغرض المساق له الكلام.

(6 كان للبناء التركيبي دور إقناعي مهم في التأثير على المتلقي، وإقناعه بالفكرة.

(7 من أهم التراكيب البنائية التي اعتمدت عليها السيدة عائشة ل في التأثير على المخاطبين من خلال كلامها ل: الموجهات التعبيرية، وأبرزها الأمر والنداء؛ فمن شأنهما تنشيط الوظيفة التنبيهية لدى المتلقي.

(8 للتصوير البياني دوره المهم في التأثير على المتلقين، واستمالتهم وإقناعهم؛ إذ إنَّ التصوير يقرب المعنى البعيد ويجسده، ويظهره في أجمل صورة، بحيث يتفاعل معها المتلقي ويستجيب لها ويسلم.

(9 كانت المحسنات البديعية وسيلة إقناعية مؤثرة في المخاطب جعلته يسارع إلى التسليم والقبول.

ومما ينبغي أن يوصَى به ما يأتي:

(1 توجيه البحوث وصرف الهمم نحو التنقيب في أدبنا العربي عمومًا والنثر خصوصًا، وقراءته قراءات متعددة للكشف عن كنوزه، مع الإفادة مما توصل إليه الدرس الحديث من تفاصيل تساعد على فتح آفاق جديدة لتحليل النصوص وتزيدها ثراء.

(2 التوسع في دراسة التطبيقات العملية في النثر كما هو الحال في الشعر لأساليب الإقناع والتأثير في مجال البلاغة والنقد، وتقديمها بصورة تيسر لباحث اللغة العربية استخدامها والتعامل معها.

(3 التركيز على الدراسات الحجاجية التي تعتمد على الآليات البلاغية، وعدم المبالغة في ربط الحجاج بأبعاده المنطقية والاستدلالية، التي تنحو به إلى المغالطات والجدل العقيم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع:

(1 آليات الحجاج في الحوار القرآني حوار نوح عليه السلام مع ابنه نموذجًا، د. سحر مصطفى إبراهيم المعنا، مجلة إيتاي البارود.

(2 آليات الحجاج في خطبة عزوة حنين، د. زكية العتيبي، مجلة كلية دار العلوم، الناشر: جامعة القاهرة، العدد ١٣.

(3 الإبداع البياني في سمت الكلام الأول (دفاع أم المؤمنين عائشة عن أبيها) أنموذجًا، للأستاذ د. السعيد عبد المجيد النوتي، جامعة أم القرى، سلسلة المؤتمرات والندوات، ندوة البلاغة العربية، سؤال الهوية وآفاق المنهج، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ

(4 الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة، للزركشي (ت: ٧٩٤هـ) تح: رفعت فوزي عبد المطلب، الناشر: مكتبة الخانجي – القاهرة، الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠١م ١٣٣١هـ

(5 استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الأولى

(6 أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، المكتبة الإسلامية، طهران ١٩٩٩م٠

(7 الأسلوب، أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة: التاسعة، ١٩٩٥م.

(8 أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم رؤية بلاغية معاصرة، د. محمد حسين علي الصغير، دار المؤرخ العربي، بيروت، ١٤٢

(9 الإصابة في تمييز الصحابة، لشهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، بيروت ١٨٥٣م

(10 أعلام النساء، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٧ م

(11 آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، د. محمود أحمد نحلة، القاهرة: دار المعرفة الجامعية، ط١،٢٠٠٠م

(12 الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، دار إحياء العلوم بيروت ط:٤، ١٩٩٨م.

(13 البداية والنهاية، ابن كثير، الناشر: دار الفكر، ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م

(14 البلاغة الاصطلاحية، عبده عبد العزيز قلقيلة، (القاهرة: مكتبة لسان العرب، ٢٠١٨م(

(15 البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، د. محمد العمري، الدار البيضاء، أفريقيا الشرق، ط٢، ٢٠٢١م.

(16 بلاغة الخطاب الإقناعي في آيات الحث على الإنفاق التطوعي في ضوء مفاهيم الحجاج، د. سحر مصطفى إبراهيم المُعَنَّا، البحث منشور في مجلة اللغة العربية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ٢٠٢٠م،

(17 بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، القاهرة: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٩٢،

(18 البلاغة العربية، د. عبد الرحمن حبنكة (ت: ١٤٢٥هـ) الناشر: دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٦م

(19 البلاغة العربية بين الإمتاع والإقناع، د. مسعود بو دوخة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١

(20 البلاغة العربية في ضوء منهج متكامل، د. محمد بركات حمدي، دار النشر للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م عمان: دار البشير، ١٩٩١م

(21 البلاغة العربية وآلية الحجة، بلقاسم حمام، مجلة الأثر، مجلة الآداب واللغات، جامعة ورقلة، الجزائر ع٤ مايو ٢٠٠٥م

(22 بلاغات النساء، لأبي الفضل أحمد بن أبي طاهر بن طيفور، (ت: ٢٨٠هـ)، صححه وشرحه: أحمد الألفي، الناشر: مطبعة مدرسة والدة عباس الأول، القاهرة، ١٣٢٦هـ ١٩٠٨م،

(23 البيان في ضوء أساليب القرآن الكريم، د. عبد الفتاح لاشين، الناشر: دار الفكر العربي، القاهرة،٢٠٠٤ م

(24 البيان والتبيين، الجاحظ (ت: ٢٥٥هـ) الناشر: دار مكتبة الهلال، بيروت، تاريخ النشر ١٤٢٣هـ

(25 التصور المجازي والكنائي، صلاح دين محمد، تحرير وتحليل، سعيد رأفت، ط:١ جامعة عين شمس، ١٩٨٨م

(26 التصوير البياني للقيم الخلقية والتشريعية في الحديث الشريف، علي علي صبح، ص ١٠٣، الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث. بدون تاريخ

(27 التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٣م

(28 التعبير بالفعل المبني للمجهول: دراسة بلاغية، محمد سرحان، مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط، الناشر: جامعة الأزهر العدد ٣١، ٢٠١٢م

(29 التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر المعاصر دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨هـ.

(30 ثلاثية اللسانيات التواصلية، سمير شريف إستيتية، مجلة عالم الفكر، العدد ٣، المجلد ٣٤، يناير، مارس ٢٠٠٦ م

(31 الحجاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج، الخطابة الجديدة لبرلمان وتتيكاه، ضمن فريق البحث في البلاغة والحجاج: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ل عبد الله صولة، إشراف: حمادي صمود، (تونس: المطبعة الرسمية، د ت(

(32 الحجاج في البلاغة العربية المعاصرة، د. محمد سالم الأمين، دار الكتاب الجديد المتحدة: لبنان ط:١ ٢٠٠٨

(33 الحجاج في الخطابة النبوية، عبد الجليل العشراوي، ط١ عالم الكتب الحديث –إربد ٢٠١٢م

(34 الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه د. سامية الدريدي، عالم الكتب الحديثة ط: ١، ٢٠١١

(35 الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، ط:٢ ٢٠٠٧م.

(36 حجاجية التشبيه عند البلاغيين والفلاسفة العرب في نهاية القرن الخامس للهجرة، سعاد بديع مطير، لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، ج٢، العدد ٣٢، ٢٠١٩ م (أبحاث اللغة العربية(

(37 حجاجية المجاز والاستعارة، حسن المودة، ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية محكمة، مجموعة من المؤلفين، إشراف / حافظ إسماعيلي علوي، ط:١، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، روافد الثقافة، ناشرون – بيروت، ٢٠١٣م

(38 الحوار ومنهجية التفكير النقدي، الباهي حسان، الدار البيضاء، إفريقيا. الشرق، ط٢، ٢٠٠٤م،

(39 خطب خلفاء بني أمية، عبد الرحمن السلمي، مجلة البحوث والدراسات، كلية المعلمين، جامعة الملك عبد العزيز، العدد (١٠) جمادى الآخرة ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م

(40 خطاب الحجاج والتداولية ـــ دراسة في نتاج ابن باديس الأديب" عباس حشاني، (ط١، إربد: عالم الكتب الحديث، ٢٠١٤(

(41 الخطابة، أصولها، تاريخها في أزهر عصورها عند العرب، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة.

(42 الخطابة في صدر الإسلام، محمد طاهر درويش، طبعة دار المعارف، مصر، ١٩٦٧م.

(43 دروس الحجاج الفلسفي، أبو الزهراء المغرب، مجلة الشبكة االتربوية الشاملة، ٢٠٠٨م

(44 دراسة في الانزياح الأسلوبي، عزة جدوع، مطبعة المتنبي، ط:٣، الدمام، ٢٠١٨

(45 دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، (ت: ٤٧١هـ)، تح: محمود شاكر، الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، الطبعة: الثالثة ١٤٢٣هـ ١٩٩٢م.

(46 دلالات التراكيب دراسة بلاغية، د. محمد أبو موسى، الناشر: مكتبة وهبة، الطبعة" الثانية، ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م

(47 دور الروابط الحجاجية وأثرها في الانسجام النصي (دراسة تطبيقية) في سورة الأعراف، د. إبتسام صفيور، جامعة المسيلة، الجزائر انترنت.

(48 الرياض النضرة في مناقب العشرة ١٤٥/١ لمحب الطبري، ط١ الخانجي القاهرة.

(49 سير أعلام النبلاء، الذهبي، (ت:٧٤٨)، تح: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م، الندوي، الناشر: دار القلم – الطبعة: الأولى ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م

(50 سيرة السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها للسيد سليمان الندوي الحسيني (ت: ١٣٧٣هـ) عربه وحققه وخرج أحاديثه محمد رحمة الله

(51 شرح أحاديث من صحيح البخاري د. محمد أبو موسى، الناشر: مكتبة وهبة، ١٤٢١هـ ٢٠٠١م

(52 شرح خطبة عائشة أُمّنا رضوان الله عليها لمحمد بن القاسم الأنباري تح: د. صلاح الدين المنجد، الناشر: مجمع اللغة العربية دمشق ١٩٦٢، ط١، ١٩٨٨م

(53 الصبغ البديعي، د. أحمد إبراهيم موسى، الناشر: دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م

(54 الصديقة بنت الصديق، عباس محمود العقاد، الناشر: دار اليقين للنشر والتوزيع، تاريخ النشر ٢٠١٥ ط: ١٢ دار المعارف

(55 صفة الصفوة، لمحمد بن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ) ت: أحمد بن علي، الطبعة: ١٤٢١هـ

(56 الصناعتين الكتابة والشعر لأبي هلال العسكري، تح: علي البجاوي، و محمد أبو الفضل ط: ١٩٥٢م، الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت، عام النشر: ١٤١٩هـ

(57 الصورة الفنية في الشعر العربي، إبراهيم بن عبد الرحمن الغنيم، ص ١٦٠، الناشر: الشركة العربية، ط: الأولى، ١٩٩٦ م

(58 العدول أسلوب تراثي في نقد الشعر، مصطفى السعدني، (الإسكندرية: منشأة المعارف، د.ت(،

(59 عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، بهاء الدين السبكي (ت: ٧٧٣)، تح: د. عبد الحميد هنداوي، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م

(60 علوم البلاغة، أحمد مصطفى المراغي، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ٢٠٠٨١٤٢٩هـ

(61 العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق (ت: ٤٦٣هـ، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: دار الجيل، الطبعة: الخامسة ١٤٠١هـ ١٩٨١م

(62 عناية النساء بالحديث النبوي، مشهور بن حسن أبو عبيدة، دار ابن عفان – المملكة العربية السعودية، ١٩٩٧م

(63 عندما نتواصل نغير: مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، عبد السلام عشير، أفريقيا، المغرب ٢٠٠٦ م

(64 غريب الحديث لابن قتيبة، (ت: ٢٧٦هـ)، تح: د. عبد الله الجبوري، الناشر: مطبعة العاني– بغداد، الطبعة: الأولى: ١٣٩٧،

(65 الفروق اللغوية. لأبي هلال العسكري تح: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، الطبعة: الأولى ١٤١٢هـ.

(66 الفعل المبني للمجهول، عبد الفتاح محمد، مجلة جامعة دمشق، المجلد٢٢ العدد ١،٢،٢٠ ٢٠٠٦م.

(67 لسان العرب، لابن منظور (ت: ٧١١هـ) الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤هـ

(68 اللغة والحجاج، أبو بكر الغزاوي، العمدة في الطبع، ط١، الرباط، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م

(69 المثل السائر، لابن الأثير (ت: ٦٣٧هـ) تح: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة القاهرة ١٤٣١هـ

(70 مسند الإمام أحمد بن حنبل، تح: شعيب الأرناؤوط_ عادل رشد وآخرون، إشراف د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ ٢٠٠١ م

(71 المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب دراسة معجمية، نعمان بوقرة، إربد، عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٩.

(72 مصنف ابن أبي شيبة، أبو بكر بن أبي شيبة (ت: ٢٣٥هـ)، تح: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ

(73 مفتاح العلوم، السكاكي (ت: ٦٢٦هـ)، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م،

(74 مقومات الحجاج في الخطاب الإصلاحي الجزائري "الشيخ البشير الإبراهيمي " مقاربة توصيفية لآليات الإقناع، صفية مكناسي، الجزائر: دار غيداء للنشر والتوزيع،٢٠١٧

(75 من الأسرار البيانية في الكناية القرآنية، د. حمزة الدمرداش زغلول، الناشر: المطبعة الإسلامية الحديثة، ط١، ١٩٨٨م

(76 من دقائق ِالتعبيرِ النثري في خطبةِ السيدةِ عائشةَــرضي الله عنها- يومَ الجمل (تحليلٌ ونَقْدٌ) هذا البحث منشور بمجلة القطاع الإسلامية الحديثة،

(77 النص الحجاجي العربي: دراسة في وسائل الإقناع، محمد العبد، مجلة فصول الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج١ العدد ٦٠ أكتوبر ٢٠٠٢م

(78 النضرة في مناقب العشرة ١٤٥/١، لمحب الطبري، ط١ الخانجي القاهرة، وصفوة الصفوة، دمشق ١٩٦٢، والرياض، ٢.

(79 النظرية الألسنية عند رومان جاكوبسون، دراسة ونصوص، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط:١ بدون.تاريخ